منهاج أهل السنة والجماعة في التعامل
مع الفتن العامة

تأليف

د. عبد الله بن عمر الدميجي

جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي لا عاصم من الفتن إلا هو، ولا معافي من البلاء إلا هو، أحمده سبحانه حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضاه، وأسأله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجنبنا سوء الفتن ما ظهر منها وما بطن ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الممتحنة: ٥]، ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٨٥) وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [يونس: ٨٥- ٨٦].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه من خلقه وخليله، ما من خير إلا دلّ أمته عليه، وما من شرّ إلا حذّر أمته منه، ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن المتأمل نصوص الكتاب والسنة يجد كمًّا هائلًا من النصوص الواردة في الفتن وأنواعها، وأخطارها، والتحذير منها، وسبل النجاة منها والتعامل معها. كما يجد ذلك ظاهرًا في عناية المسلمين بهذه النصوص وتدوينها وشرحها وتعليمها.

كما أن المتأمل في واقع المسلمين اليوم يرى كمًّا هائلًا ـ أيضًا ـ من الفتن العامّة والخاصّة التي يرقق بعضها بعضًا، ويصدق عليها ما ذكره النبي ﷺ من أوصافها وأنواعها التي تكون في آخر الزمان الذي

نعيشه، فعصرنا وما فيه من الفتن هو عَلَم من أعلام نبوته ﷺ، فقد أصبحنا نرى ونشاهد ما كنا نقرؤه مما أخبر عنه ﷺ من الفتن.

وفي هذه الفتن قد اختلطت فتن الشهوات بفتن الشبهات، وتعاضدت، وقد ساعد على انتشارها وفشوها قلّة العلم النافع وفشو الجهل، مع ثورة المعلومات وتقنية الاتصالات والفضائيات وكثرة المال، وانفتاح أبواب كل شيء ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

ترتب على ذلك تحولات كبيرة، ومتغيرات متسارعة، ومستجدات متتابعة، ومن أخطرها ما يشهده العالم على صعيد الفِرق والمذاهب والتيارات المعاصرة، فقد ظهرت فِرق قديمة قد هلكت، وبرزت تيارات جديدة، وظهرت أفكار قديمة وحديثة، أسهمت عوامل متعددة في تلقف بعض أبناء المسلمين لها، وتهافتهم في الانضواء تحت راية من راياتها.

كما أن من أبرز مظاهر الفتن المعاصرة انتشار البدع والشركيات والمجاهرة بها والدعوة إليها والقتال في سبيلها وإثارة الشبهات الـمُزَيِّنَة لها، والطعن في ثوابت الدين ومحكماته، وتبني بعض المتنسبين للعلم طروحات التغريبيين وأفكارهم، وتسويغ انحرافاتهم ومخالفاتهم وإلباسها لبوس الدين والإصلاح، والانقلاب على المنهج السلفي والطعن في رموزه وثوابته باسم التجديد والتنوير والإصلاح، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ

مُصۡلِحُونَ ١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١- ١٢].

كما أن من أهم هذه المظاهر وأخطرها ما يواجهه المسلمون اليوم من البأس الذي لا يرفعه الله إلى يوم القيامة، وهو اقتتال أهل القبلة وإراقة دماء المسلمين بأيدي المسلمين، وهو ثمرة من ثمار تنازعهم واختلافهم في الدين بين غلو وإفراط، وبين تساهل وتفريط، أدى بهم ذلك إلى أن ﴿فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢]، فتكلَّم إثر ذلك الرُّوَيبيضة، وترأَّس الجهلة، وتجرّأ المبتدعة وأهل الأهواء، وتطاول الفسقة، وظهر سوق النِّفاق فصار له نَفَاق، وأصبح اليوم يحارب الدين وأهله باسم الدين، ويقتل المسلمون بأيدي المسلمين ـ بأوامر وتوجيهات وتخطيطات غير المسلمين ـ ويُعَاث في الأرض فسادًا باسم الإصلاح، فأصبح المصلح مفسدًا والمفسد مصلحًا، وقد استغل كل ذلك العدو المتربص لتحقيق أهدافه، فحصَّل كثيرًا من مقصوده ووصل إلى أمور مهمة لم يكن يَحْلُم أن يصل إليها.

وحسبك لترى ما المسلمون فيه من فتنة أن تجول بناظريك على خارطة العالم الإسلامي أو تقلب طرفك في شاشات وصحائف الإعلام اليوم، فلا ترى إلا دماء المسلمين المهدرة، وأشلاءهم الممزقة في كل ناحية وصوب.

ومما لا شك فيه أن المسؤول الأول عن هذا الواقع المؤلم للمسلمين هم المسلمون أنفسهم، بتقصيرهم وتفريطهم وبُعدهم عن دين ربهم، والعمل بكتابه وسنة نبيه ﷺ ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم

مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقال سبحانه: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١]، فهل نَعِي هذا التوجيه الرباني ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾!

كما أن من المقطوع به يقينًا أن الله تعالى ناصر دينه وأوليائه مهما تكالبت عليهم المحن والإحن، وادلهمت عليهم الخطوب والفتن، فقد وعدهم الله تعالى ـ ووعده الحق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران: ٩]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٢] ـ بقوله عز وجل: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ [غافر: ٥١]، ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [المائدة: ٥٦]، ﴿فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود: ٤٩]، ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢]، ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ﴾ [آل عمران: ١٢٠]، ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣].

ومع موعود الله تعالى بنصر أوليائه، فقد توعد بخذلان وذل أعدائه مهما تطاولوا وبغوا ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٧٦]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة: ٢٠- ٢١]، ﴿ وَلَوْ

قَـٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [الفتح: ٢٢- ٢٣]، فهذا خطاب إلهي للمؤمنين القائمين بحقائق الإيمان ظاهرًا وباطنًا، ووعد رباني لا يُخلف أبدًا.

أما المنافقون المتطاولون فلهم بشارة خاصة ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٣٨- ١٣٩].

ومن سنن الله الكونية وحكمه الإلهية أن جعل الأيام بين الناس دُوَلاً، فقد يجعل للباطل أحيانًا صولة، وللنفاق جولة، وللكفر انتفاشة، ولكنها قصيرة ومحدودة ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [آل عمران: ١٩٦- ١٩٧].

وقد ذكر الله تعالى لنا في محكم تنزيله بعض هذه الحكم في إدالة عدوه على أفضل أوليائه من المهاجرين - بما فيهم رسوله الكريم ﷺ - والأنصار يوم أحد، مع أنهم أكرم من كان على وجه الأرض من الخلق، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٩- ١٤٢].

فذكر الله سبحانه أنواعًا من الحِكم التي لأجلها أديل عليهم الكفار بعد أن ثبتهم وقوَّاهم وبشَّرهم بأنهم الأعلَوْن بما أعطوا من الإيمان، نعم: يقول الله تعالى لهم: أنتم الأعلون بإيمانكم وإن كان ظاهركم الانكسار والهزيمة، وهم الأَدْنَوْن بكفرهم وطغيانهم وإن كان ظاهرهم الانتصار.

ثم سلَّاهم تعالى بأنهم وإن مسَّهم القرح في طاعته وطاعة رسوله ـ وهي الجراح والآلام ـ فقد مَسَّ أعداءهم القرح في عداوته وعداوة رسوله.

ثم أخبرهم أنه سبحانه بحكمته بجعل الأيام دُوَلًا بين الناس، فيصيب كلًا منهم نصيبه منها؛ كالأرزاق والآجال.

ثم أخبرهم أنه فعل ذلك ليعلم المؤمن منهم، وهو سبحانه بكل شيء عليم قبل كونه وبعد كونه، ولكنه أراد أن يَعْلمهم موجودين مشاهَدين، فيعلم إيمانهم واقعًا بعد أن علمه قدرًا وأزلًا.

ثم أخبر أنه أحبَّ أن يتخذ منهم شهداء، فإن الشهادة درجة عالية عنده، ومنزلة رفيعة لا تُنال ـ ذروتها ـ إلا بالقتل في سبيله، فلولا إدالة العدو لم تحصل الشهادة التي هي أحب الأشياء إليه، وأنفعها للعبد.

ثم أخبر سبحانه أنه يريد تمحيص المؤمنين، أي تخليصهم من ذنوبهم بالتوبة والرجوع إليه، واستغفاره من الذنوب التي أديل بها عليهم العدو.

ثم أخبر ـ مع ذلك ـ أنه يريد أن يمحق الكافرين ببغيهم وطغيانهم وعدوانهم إذا انتصروا.

ثم أنكر عليهم حسبانهم وظنهم دخول الجنة بغير جهاد ولا صبر، فإن حكمته تأبى ذلك، فلا يدخلونها إلا بالجهاد والصبر، ولو كانوا دائمًا منصورين غالبين لما جاهدهم أحد، ولما ابتلوا بما يصبرون عليه من أذى أعدائهم.

فهذه بعض حِكَمه في نصرة عدوهم عليهم، وإدالته في بعض الأحيان[(١)]. مع أنهم خيرة الله مِن خلقه.

فلعل في هذا ما يقوي قلوب المنهزمين الظانين بالله غير الحق ظن الجاهلية، الذين يبكون على الإسلام والسنة وأهلها، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

ومع ذلك فإنا لنرجو أن تكون هذه الفتن التي أصابت المسلمين اليوم منبهة للأمة من غفلتها، ومُوقظة لها من رقدتها، ومُخلِّصة لها من ذنوبها، ومُهذِّبة لها من أدرانها، وممحِّصة لها ولصفوفها ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ﴾ [الأنفال: ٣٧].

فالأمة ما زالت بخير، وفيها خير كثير، بل الخير فيها باق إلى قيام الساعة كما أخبر ﷺ.

فلعل هذه الفتن والمحن مقدمات لرفعة شأن الأمة لتعود إلى دين ربها لتكون مؤهلة للانتصار والقيادة والتمكين، وإلا فإنها كما قال العقاد: «كثيرًا ما يكون الباطل أهلًا للهزيمة، لكنه لا يجد من هو أهل للانتصار

(١) اقتباس مع تصرف من إغاثة اللهفان (٢/ ١٩١).

عليه»[(١)].

من أجل هذا وذاك كانت هذه المحاولة في الكتابة في هذا الموضوع المهم لبيان موقف أهل السنة والجماعة من الفتن العامة والتعامل معها؛ إسهامًا في تنوير قلوب أجيال المسلمين، وتبصيرًا لهم بالشرعة والمنهاج الـمُوصل إلى بَرِّ الأمان من الفتن المهلكات، حتى يكون المسلم بصيرًا بالفتنة وأخطارها لئلا تفجأه على غرّة، ساعيًا قدر الإمكان إلى درئها قبل وقوعها، مجتهدًا في إغلاق منافذها ومداخلها، ماهرًا في التعامل معها عند وقوعها تعاملًا إيجابيًا، يستثمر إيجابياتها، ويدرأ أو يقلِّل من سلبياتها، حتى تكون في حقه وفي حق المسلمين منحة ربانية، كما قال تعالى عن فتنة الإفك ﴿**لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ**﴾ [النور: ١١]، وقول ﷺ في حديث أنس: «**عجبت للمؤمن، إن الله لا يقضي للمؤمن قضاء إلا كان خيرًا له**»[(٢)].

فكانت هذه المحاولة جمعًا للنصوص الشرعية في هذا الموضوع وأقوال علماء الأمة من أهل السنة والجماعة على مرّ العصور، بدءًا بسلفهم الصالح من الصحابة والتابعين ومن اتبعهم، مع ذكر نماذج من مواقفهم العملية تجاه ما لاقوه من الفتن، فقمت بترتيبها وتنسيقها وتوثيقها قدر المستطاع.

كل ذلك رغبة في الإسهام في إعزاز الملّة، وحفظ الشريعة، وحراسة

---

(١) الفصول (ص٣٣٩).

(٢) المسند (٣/ ١٨٤، ١١٧). وبنحوه من حديث أنس في مسلم (٢٩٩٩).

العقيدة، والحفاظ على البيضة، وتقوية الشوكة.

وقد اقتصرت على الكلام على الفتن العامة دون الخاصة؛ لأن خطرها أشد، وأثرها أكبر ـ وهذا ليس تقليلًا من شأن الخاصة، ولكن لها مكانها الآخر ـ وجعلته بعنوان: (**منهاج أهل السنة والجماعة في التعامل مع الفتن العامة**) جامعًا فيه بين المنهج الاستقرائي والتاريخي والتحليلي.

وقسمته إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة.

أما المقدمة فهي هذه وكانت ـ كالمتبع ـ عن أهمية الموضوع ومنهج البحث.

والفصل الأول: كان عن معنى الفتنة والتحذير منها وخطرها وأنواعها وأسبابها وعلامات مَن وقع في شيء منها، وكان في ستة مباحث.

الفصل الثاني: سبل النجاة والوقاية منها قبل وقوعها، وفيه خمسة مباحث.

الفصل الثالث: المخرج منها والتعامل معها عند وقوعها، وفيه إثني عشر مبحثًا.

الفصل الرابع: ثمرات الفتن والحِكَم الإلهية فيها، وكان في سبع فقرات.

ثم الخاتمة: وفيها أهم النتائج. ثم فهرس المصادر والموضوعات.

هذا جَهْد الـمُقل، ومع اعترافي بالعجز والتقصير؛ فإن عزائي أني قد استفرغت وسعي في بذل المستطاع للوصول إلى الحق والصواب في

مسألة هي على غاية من الأهمية، فإن وُفقت إلى ذلك فالفضل والمنة لله وحده، وذلك ما كنت أبغي، وإن كانت الأخرى فمني ومن الشيطان، وأشكر كل من ساعدني على إتمام هـذا البحـث بقـراءة أو مراجعـة أو تصحيح أو مشورة أو طباعة أو غير ذلك. وأسأل المولى عـز وجـل أن يجزل لهم الأجر والمثوبة.

كما أسأله تعـالى أن يـأجرني عـلى اجتهـادي، وأن يغفـر لي خطئـي وعمدي، وجِدِّي وهزلي، وكل ذلك عندي، وأن يعيذني والمسلمين من مضلات الفتن، ما ظهر منها وما بطن.

وليس بي غنى عن متفضل يتكرم علي بدلالتي على مـا يقـف عليـه من خطأ أو سهو، فالمؤمن مرآة أخيه، والدين النصيحة، ورحم الله امرأً أهدى إليّ عيوبي، سائلًا المولى عز وجل أن ينفع به كاتبه وقارئه وعموم المسلمين، وأن يغفر لي ولوالدي ولجميع المسلمين.

وكان الفراغ من تحريره ليلة الجمعة الحاديـة والعـشرين مـن شـهر شعبان من العام الثاني والثلاثين بعـد الأربعمائـة والألـف مـن هجـرة المصطفى ﷺ في مكة المشرفة حرسها الله.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

حرره

عبد الله بن عمر الدميجي

جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة

الفَصْلُ الأَوَّلُ

معنى الفتنة، وأنواعها، وخطرها، وأسبابها

المبحث الأول

معنى الفتنـــــة

* أولاً: معنى الفتنة في اللغة والاصطلاح:

قال ابن فارس: «الفـاء والتـاء والنـون أصـل صـحيح يـدل عـلى الابتلاء والاختبار، تقول: فتنـت الـذهب إذا أدخلتـه النـار لتنظـر مـا جودته، وهذا مفتون وفتين، ويسمى الصائغ: الفتَّان؛ لإذابتـه الـذهب والفضة في النار...»[١].

كما تُطلق الفتنة في لغة العرب على عدة معان أُخر، كالمحنـة والمـال والأولاد والكفـر، وتُطلـق عـلى اخـتلاف النـاس في الآراء، وعـلى الإحراق بالنار، كما تطلق على الإمالة عن القصد، والفتنة معناها: الميلة عن الحق[٢].

وقال الحافظ ابن حجر: «إن أصل الفتنة الاختبار، ثـم اسـتعملت فيما أخرجته المحنة والاختبار إلى المكروه، ثم أطلقت على كل مكروه أو آيل إليه كالكفر والإثم والتحريق والفضيحة والفجور وغير ذلك»[٣].

---

(١) مقاييس اللغة، مادة: (ف ت ن) (٤/ ٢٧٤).

(٢) لسان العرب لابن منظور، مادة (فتن) (١٣/ ٣١٧).

(٣) فتح الباري (١٣/ ٣٠). وينظر: شرح النووي على مسلم (٢/ ١٧٠).

وقد عرَّفها الجرجاني بقوله: «هي ما يُبَيَّن به حال الإنسان من الخير والشر»[(١)].

وخير تعريف للفتنة هو ما بينته النصوص، حيث أثبتت تنوعها وعمومها[(٢)]، كما سيأتي.

والفرق بين الفتنة والابتلاء: أن الابتلاء أحد معاني الفتنة، فالفتنة تكون بالابتلاء وغيره، فهي أعمُّ.

قال أبو هلال العسكري: «الفرق بين الفتنة والاختبار أن الفتنة أشد الاختبار وأَبْلَغُه...، ويكون في الخير والشر، ألا تسمع قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾ [التغابن: ١٥]، وقال: ﴿لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ١٦ لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ﴾ [الجن: ١٦، ١٧]، فجعل النعمة فتنة؛ لأنه قصد بها المبالغة في اختبار المنعَم عليه بها، كالذهب إذا أريد المبالغة في تعريف حاله»[(٣)]. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

---

(١) التعريفات (ص١٧١).

(٢) الفتنة، معناها، والحكمة منها في ضوء الكتاب والسنة (ص٣٦)، د. إبراهيم الدويش، وكتاب الفتن وموقف المسلم منها رؤية شرعية تأصيلية (ص١٢- ٢٦) د. علي بن سعد الضويحي.

(٣) الفروق اللغوية (١٧٨، ١٧٩). وينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٣٩)، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ص٣٧٢). وينظر في هذه الفروق: الفتنة وموقف المسلم منها، عبد الحميد بن عبد الرحمن السحيباني.

والعلاقة بين المدلول اللغوي والمدلول الشرعي للفتنة تكمن في أن الفتنة تظهر المؤمن الصادق من الدعي الكاذب. وتنبئ عن سوء طوية المنافق الذي لم يستقر الإيمان في قلبه وتخرج الدَّغَل من قلوب المؤمنين، فيخرجوا بعد البلاء بقلوب صافية، وأفئدة نقيَّة، كما يحصل عند إدخال الذهب والفضة في النار فيذهب الخبث ويبقى الجيد(١).

*** ثانيًا: معاني الفتنة في القرآن والسنة:**

ذُكرت مادة (فتن) ومشتقاتها في القرآن الكريم في ثمانية وخمسين موضعًا، وأُطلقت على حوالي خمسة عشر معنى أو تزيد، من أهمها(٢):

١- الابتلاء والامتحان، كما في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١-٣].

قال السمعاني: «أي: لا يبتلون»(٣).

قال ابن القيم: «ولفظ الفتنة في كتاب الله تعالى يراد به الامتحان الذي لم يفتتن صاحبه، بل خلص من الافتتان، ويراد بها الامتحان الذي حصل معه افتتان.

---

(١) ينظر: موقف المسلم من الفتن. حسين الحازمي (ص٣٧).

(٢) ينظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي (٢/ ٨٩)، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز أبادي (٤/ ١٦٧). وينظر: فقه التعامل مع الفتن، د. زين العابدين الغامدي (ص٢٦)، وفقه الفتن، د. عبد الواحد الإدريسي (ص٣٥).

(٣) تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني (٤/ ١٦٥).

فمن الأول: قوله تعالى لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠].

ومن الثاني: قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣]، وقوله: ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ [التوبة: ٤٩].

ويطلق على ما يتناول الأمرين كقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ الآية»[١].

٢- الصد عن السبيل، والرد عن بعض أمور الشريعة[٢]، قال تعالى: ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾ [المائدة: ٤٩].

٣- العذاب، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠]. قال ابن عباس: «أي: حَرَّقوا»[٣].

٤- الشرك، قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ﴾ [البقرة: ١٩٣]. وهذا تفسير أغلب السلف من الصحابة وغيرهم[٤]، قال الطبري: «أي حتى لا يكون شرك بالله، وحتى لا

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ١٥٩).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٦/ ٢٧٣).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/ ٣٧١).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٢/ ١٩٤). وقد رواه ابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل من طُرقٍ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. الدر المنثور (٢/ ٤٩٥).

يعبد دونه أحد»[١].

٥- الوقوع في النفاق والمعاصي، كما قال تعالى في حق المنافقين: ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [الحديد: ١٤]، ومعنى: ﴿فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: أوقعتموها في النفاق، وأهلكتموها باستعمالها في المعاصي والشهوات[٢].

٦- التشكيك والتلبيس، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧]، قال مجاهد: «ابتغاء الشبهات واللَّبْس، ليضلُّوا بها جهالهم»[٣]، وقال الطبري في معنى ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾: «... إرادة اللَّبْس على نفسه وعلى غيره، احتجاجًا به على باطله الذي مال إليه قلبه دون الحق الذي أبانه الله فأوضحه بالمحكمات من آي كتابه»[٤].

٧- الشبهة في الحق والباطل، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣]، فمعنى ﴿تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: شبهة في الحق والباطل، قال ابن كثير: «أي إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين،

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ١٩٤).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٤٠٤).

(٣) تفسير البغوي (١/ ٣٢٤).

(٤) تفسير الطبري (٣/ ١٨١).

وإلا وقعت الفتنة في الناس، وهو التباس الأمر، واختلاط المؤمن بالكافر، فيقع بين الناس فساد منتشر طويل عريض»[١].

٨- الإضلال والإغواء، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [الأعراف: ٢٧]، وقوله: ﴿مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ١٦٢ إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ ١٦٣﴾ [الصافات: ١٦٢- ١٦٣] أي: بمضلين، إلا من أضله الله[٢].

٩- الكفر بعد الإسلام - والعياذ بالله - قال تعالى: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، فمعنى: ﴿أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ﴾ أي: كفر[٣]، على أحد أوجه التفسير.

١٠- المعذرة والاعتذار بالشيء، قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، عن ابن عباس: معنى: ﴿فِتۡنَتُهُمۡ﴾ أي: معذرتهم. وكذا قال قتادة[٤].

١١- القتل والأسر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء: ١٠١]. قال الطبري: «وفتنته إياهم فيما حملهم

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٩٨). وينظر: تفسير ابن سعدي (٣/ ١٩٤).

(٢) تفسير السمعاني (٤/ ٤١٩).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٧٨).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٤٦).

عليهم وهم ساجدون، حتى يقتلوهم أو يأسروهم...»[١]. قال البغوي: «أي: يغتالكم ويقتلكم... نظيره قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ﴾ [يونس: ٨٣]»[٢].

١٢- الاختلاف وعدم اجتماع الكلمة كما قال تعالى عن المنافقين: ﴿وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾ [التوبة: ٤٧] أي: يحاولون أن يفتنوكم ـ أيها المؤمنون ـ بأن يوقعوا الخلاف فيما بينكم، ويفسدوا نياتكم في مغزاكم[٣]. قال ابن جرير: «بتثبيطهم إياكم عنه»[٤].

١٣- الجنون، كما في قوله تعالى: ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ [القلم: ٦]، قال ابن عباس: أي: المجنون. وكذا قال مجاهد وغيره[٥].

أما في السنة فتأتي على معانٍ عدة، من أهمها: القتال، ووقوع بأس الأمة بينهم، وما ينشأ عن الاختلاف في طلب الملك، وبمعنى الفرقة والاختلاف، والعصيان والخروج عن الطاعة، وغيرها[٦].

وعلى كل فتعرف الفتنة بحسب السياق والقرائن، وحسب ما أضيفت إليه. وبحسب المآلات والنتائج، فما في القرآن والسنة يأتي

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ٢٤٣).

(٢) تفسير البغوي (١/ ٥٨٦).

(٣) ينظر: تفسير البحر المحيط (٥/ ٤٣٠).

(٤) تفسير الطبري (١٠/ ١٤٥).

(٥) تفسير ابن كثير (٨/ ١٩٠).

(٦) ينظر من معاني الفتنة في السنة كتاب: الفتنة معناها والحكمة منها للدويِّش (ص٤١).

معناه بحسب نتيجة الفتنة.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما الفتنة التي يضيفها الله تعالى إلى نفسه أو يضيفها رسوله ﷺ إليه كقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٥٣]، وقول موسى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، فتلك بمعنى آخر؛ وهي بمعنى الامتحان والاختبار والابتلاء من الله لعباده بالخير والشر بالنعم والمصائب، فهذا لون، وفتنة المشركين لون، وفتنة المؤمن في ماله وولده وجاره لون آخر، والفتنة التي يوقعها بين أهل الإسلام كالفتنة التي أوقعها بين أصحاب علي ومعاوية، وبين أهل الجمل، وبين المسلمين حتى يتقاتلوا ويتهاجروا لون آخر...»[1].



(١) زاد المعاد (٣/ ١٧٠).

المبحث الثاني
التحذير من الفتن في القرآن والسنة

تنوعت أساليب القرآن الكريم والسنة النبوية في التحذير من الفتن لإحياء القلوب وإيقاظ النفوس، ذكرى للمؤمنين وتنبيهًا للغافلين وحجة على المعاندين، ومن هذه الأساليب:

*** أولا: التحذيرات في القرآن الكريم:**

١ ـ التحذير الصريح من الفتنة، والأمر باتقائها، والنهي عن الوقوع فيها:

قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾ [المائدة: ٤٩]، وقد نزلت هذه الآيات في اليهود الذين جاءوا للتحاكم إلى النبي ﷺ(١).

كما جاء التحذير الرباني للمنافقين أن تصيبهم فتنة جرَّاء مخالفتهم أمره ﷺ، قال الله تعالى: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وهذا الوعيد لكل من خالف أمر الله ورسوله ﷺ.

وجاء التحذير الإلهي أيضًا من الفتنة العامة التي لا تقتصر على الظالمين خاصة، وإنما تعمّ الصالح والطالح، فأمر الله تعالى باتقائها بقوله عز وجل: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةًۖ

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٢٧٣)، والقرطبي (٦/ ٢١٣)، وأسباب النزول (ص١٩١).

وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٢٥]، وجاءت هذه الآية بعد الأمر بالاستجابة لله تعالى ولرسوله ﷺ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ ثم قال: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً ...﴾ الآية، وجاء توضيح ذلك في حديث السفينة المخرَّج في الصحيحين من حديث النعمان بن بشير ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ وفيه: «**فإن تركوهم** ـ أي: المفسدين ـ **وما أرادوا هلكوا جميعًا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا**»(١).

كما ورد الخطاب الصريح موجهًا لجميع بني آدم بالتحذير من فتنة الشيطان في طاعته والاغترار بوعوده الكاذبة وأمانيه الخادعة فقال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ ﴾ [الأعراف: ٢٧].

فبماذا كانت هذه الفتنة؟ لقد كانت بأمرين هما من أكبر أسباب الفتن في عُمر البشرية:

الأول: الوعد بطول الأمل والخلود، ﴿هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ ﴾.

الثاني: حب الترؤس الذي لا نهاية له، ﴿وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴾ [طه: ١٢٠].

وجاء في الآية الأخرى، قال تعالى: ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشركة، باب: هل يقرع في القسمة والاستهام فيه (٢٤٩٣).

ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠].

وهذان الأمران من أكبر ما جبلت النفوس على محبته والحرص عليه، إلا من قيّدها بطاعة الله تعالى وامتثال أمره، وإيثار محبة الله ومرضاته على هوى نفسه وشهواتها.

٢ ـ ومن هذه الأساليب التحذيرية: التبكيت والتقريع لمن تسبب في الوقوع في الفتنة:

ومن ذلك ما ذكره الله تعالى عن المنافقين المتخلفين عن الجهاد حذر الفتنة ـ زعموا ـ وهم قد وقعوا فيها، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩].

وقد ذُكر في سبب نزولها أنه لما أراد النبي ﷺ أن يخرج إلى غزوة تبوك قال الجَدُّ بن قيس: إني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن أفتتن فائذن لي ولا تفتني، فنزلت الآية(١).

فالفتنة «التي فرّ منها ـ بزعمه ـ هي فتنة محبة النساء وعدم صبره عنهن، والفتنة التي وقع فيها هي فتنة الشرك والكفر في الدنيا والعذاب في الآخرة»(٢).

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ١٤٨)، والطبراني في الكبير (١٢/ ١٢٢)، والواحدي في أسباب النزول، (ص٢٠٢). وإسناده ضعيف، لكن قال الطبري: «وبذلك من التأويل تظاهرت الأخبار عن أهل التأويل».

(٢) إغاثة اللهفان (٢/ ١٥٩).

٣ ـ التوبيخ والتعجب ممن لا يعتبرون بالفتن ويستبعدون وقوعها.

ومن ذلك ورود الاستفهام على سبيل التوبيخ للمنافقين بإعراضهم عن الاعتبار بما يحدث في حقهم من الأمور الموجبة للتذكر والاعتبار فقال تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٦]، فمِن الحكم الربانية في الفتن العِظَة والاعتبار والتنبيه للتوبة والإنابة قبل فوات الأوان.

كما ورد التعجب من حال بني إسرائيل المستبعدين العذاب والفتنة(١)، فقال تعالى: ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٧١]. قال السُّدِّي: «حسبوا ألا يبتلوا؛ فعموا عن الحق وصَمُّوا»(٢).

هذه بعض التحذيرات القرآنية من الفتن وأسبابها، أعاذنا الله منها بِمَنِّهِ وكرمه.

*** ثانيًا: التحذيرات في السنة:**

أما التحذيرات في السنة النبوية فكثيرة؛ ومنها:

١ ـ الإخبار عنها مع التحذير منها، واجتنابها، والثبات على الحق.

ما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنه لم يكن نبي قبلي، إلا كان حقًا**

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٣١١).

(٢) المصدر نفسه (٦/ ٣١٢).

عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شرّ ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه، جعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها، وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضًا، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي، ثم تنكشف، وتجيء الفتنة فيقول: هذه هذه. فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه، ومَن بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر»(١). فهذا خبر نبوي، يُراد منه: التحذير من هذه الفتن واجتنابها،والثبات على الحق، بعد أن أخبر عن وقوعها في آخر الأمة أكثر من أولها.

٢ ـ ومنها: الدعاء والتعوذ من مضلات الفتن الظاهرة والباطنة، ولذلك شرع لنا في كل صلاة أن نستعيذ من فتنة المحيى والمات، ومن فتنة المسيح الدجال، كما في حديث أبي هريرة ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والمات، ومن شر فتنة المسيح الدجال**»(٢).

وقد كان النبي ﷺ يتعوذ بالله كثيرًا من الفتن، كما أمره ربه تبارك وتعالى، فعن ابن عباس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**أتاني**

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب: وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء (١٨٤٤)، من حديث: عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب المساجد، باب: ما يستعاذ منه في الصلاة (٥٨٨).

الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة...» فذكر الحديث، وفيه قوله تعالى: «**يا محمد، إذا صليت فقل: اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني وتتوب علي، وإن أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون**»[(١)].

وكذلك كان الأنبياء قبله ﷺ، كانوا يسألون الله تعالى ألا يكونوا فتنة لغيرهم وسببًا لها، فهذا أبوه إبراهيم الخليل ـ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم ـ كان من دعائه: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الممتحنة: ٤- ٥].

وهذا أخوه موسى الكليم عليهما الصلاة والسلام كان من دعائه هو وأتباعه: ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [يونس: ٨٥- ٨٦]. والمعنى: أي لا تسلطهم علينا؛ فيظهروا علينا؛ فيظنوا أنهم خير منا... أو لا تسلطهم علينا فيفتنونا[(٢)]. وكلاهما وارد «فكل من النوعين فتنة للآخر»[(٣)].

وما كان النبي ﷺ والأنبياء قبله يتعوذون من الفتن؛ إلا لِـما لها من آثار وخيمة على الدين والدنيا، ثم إنها إذا أتت لا تصيب الظالم وحده، بل تصيب الصالح والطالح.

(١) أخرجه الترمذي في تفسير القرآن، باب: ومن سورة: ص (٣٢٣٣)، وأحمد (١/ ٣٦٨)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني في الصحيحة برقم: (٣١٦٩).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١١/ ١٥١- ١٥٢).

(٣) إغاثة اللهفان (٢/ ١٦٤).

وأمر عليه الصلاة والسلام أمته بالتعوذ بالله من الفتن، فعن أبي سعيد الخدري عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال أبو سعيد: ولم أشهده من النبي ﷺ ولكن حدثنيه زيد بن ثابت، قال: بينما النبي ﷺ في حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه إذ حادت به فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة، فقال ﷺ: «**من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟**» فقال رجل: أنا، قال: «**فمتى مات هؤلاء؟**» قال: ماتوا في الإشراك، فقال: «**إن هذه الأمة تُبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه**» ثم أقبل علينا بوجهه فقال: «**تعوذوا بالله من عذاب النار**»، قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار، فقال: «**تعوذوا بالله من عذاب القبر**»، قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، قال: «**تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن**»، قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قال: «**تعوذوا بالله من فتنة الدجال**» قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال[1].

وقد عقد البخاري بابًا بعنوان: «التعوذ من الفتن»

بل كان النبي ﷺ، يسأل الله الشوق إلى لقائه، من غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة[2].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب: عرض مقعد الميت من الجنة والنار (٢٨٦٧).

(٢) أخرجه النسائي في السهو (١٣٠٦) (٣/ ٥٥)، وأحمد (٤/ ٢٦٤)، والحاكم في المستدرك (١/ ٧٠٥). من حديث: عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وصححه الألباني في صحيح النسائي (١٢٣٨).

وتتأكد الاستعاذة من مضلات الفتن على وجه الخصوص ـ وهي الصارفة عن الحق ـ بعد الاستعاذة منها عمومًا، لأن مطلق الفتنة قَلَّ أن يسلم منها أحد. فعن أبي الضحى، قال: «قال رجل ـ وهو عند عمر ـ: اللهم إني أعوذ بك من الفتنة، أو الفتن، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اللهم إني أعوذ بك من الضَّفَاطَة[(١)]، أتحبّ ألا يرزقك الله مالًا وولدا؟! أيكم استعاذ من الفتن فليستعذ من مضلاتها»[(٢)]. وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا يقولَّن أحدكم: اللهم إني أعوذ بك من الفتنة، فإنه ليس منكم أحد إلا وهو مشتمل على فتنة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]، فأيكم استعاذ فليستعذ بالله من مضلات الفتن»[(٣)].

وكان من دعاء عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما خطب فيهم النبي ﷺ وقال: «**لا تسألوني عن شيء إلا بينت لكم**...» فإذا كل رجل رأسه في ثوبه يبكي، فقال عمر: «رضينا بالله ربنا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ رسولًا، نعوذ بالله من سوء الفتن»، وفي رواية: «عائذًا بالله من سوء الفتن»، وفي أخرى: «نعوذ بالله من سوأى الفتن»[(٤)].

وعن عبد الله بن عامر قال: «لما تشعب الناس في الطعن على عثمان

(١) الضفاطة: هي: «ضعف الرأي والجهل، وقد ضَفُط يضفُط ضفاطة فهو ضفيط» النهاية (٣/ ٩٥).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٨/ ٦٠٨).

(٣) تفسير الطبري (٩/ ٢٢٤) مختصرًا. وينظر: إغاثة اللهفان (٢/ ١٦٠).

(٤) البخاري، كتاب الفتن، باب: التعوذ من الفتن (ح: ٧٠٨٩) (١٣/ ٤٣).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قام أبي يصلي من الليل ثم نام، قال: فقيل له: قم؛ فاسأل الله أن يعيذك من الفتنة التي أعاذ منها عباده الصالحين، قال: فقام، فمرض فما رؤي خارجًا حتى مات»[١].

وهذا ديدن أهل السنة والجماعة، في استعاذتهم من سوء الفتن الظاهرة والباطنة ومن مضلاتها؛ أسوة بنبيهم ﷺ.

٣ ـ الإخبار عما سيقع منها بين الصحابة ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ وهذا مما يدل على اهتمامه ﷺ بأمر الفتن، وما سيقع منها بين الصحابة، ووقع كما قال ﷺ، فقد ورد في حديث أسامة بن زيد ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال: أشرف النبي ﷺ على أطم[٢] فقال: «**هل ترون ما أرى؟**» قالوا: لا. قال: «**فإني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر**»[٣].

قال النووي: «والتشبيه بمواقع القطر في الكثرة والعموم، أي أنها كثيرة وتعم الناس، لا تختص بها طائفة، وهذا إشارة إلى الحروب الجارية بينهم كوقعة الجمل وصفين والحرّة ومقتل عثمان ومقتل الحسين ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ وغير ذلك، وهي معجزة ظاهرة له ﷺ»[٤]، وكذلك إخباره بأنها تأتي من قبل المشرق[٥]، وتخوفه على الصحابة

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٢/ ٤٨)، والبيهقي في الدلائل (٦/ ٤٠٤).

(٢) الأطم: البناء المرتفع، جمعه آطام. ينظر: النهاية (١/ ٤٠).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الفتن، باب: نزول الفتن كمواقع القطر، (ح: ٧٢٤٥).

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي (١٨/ ٨).

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الفتن، باب: الفتنة من المشرق، (ح: ٧٢٩٢)، والمراد مشرق المدينة، وهي العراق وخراسان.

منها(١) رضوان الله تعالى عليهم.

فهذه بعض صور التحذيرات النبوية المتنوعة من التحذير من الفتن العامة، وستأتي صور أخرى في تضاعيف البحث، تُبين مدى اهتمام النبي ﷺ بأمر الفتن، وتحذيره أمته منها قبل وقوعها، وبيان المخرج منها بعد وقوعها.

وقد تختلف أساليب التحذيرات القرآنية والنبوية باختلاف الفتن وتنوعها، ولكل فتنة ما يناسبها من التحذيرات والمعالجات يدل عليها السياق. كما أن بعضها قد يكون عامًا يشمل أنواعًا متعددة من الفتن والمخرج منها.



(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: جواز الاستسرار بالإيمان للخائف، (ح: ٣٧٧).

المبحث الثالث

خطر الفتن على القلوب

والفتن أكبر ما تكون خطرًا على القلوب، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣]، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فبالهدى يعرف الحق، وبدين الحق يقصد الخير ويعرف به، والفتن تمنع معرفة الحق، وتمنع قصد الخير وإرادته، لأنها تلبس الحق بالباطل»[١].

وجاء في حديث حذيفة: «**تُعرض الفتن على القلوب كالحصير؛ عودًا عودًا، فأيما قلب أُشْرِبَها نُكِت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مُرْبَادًّا[٢]، كالكُوز مُجَخِّيًا[٣]، لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا إلا ما أُشرب من هواه**»[٤].

---

(١) منهاج السنة النبوية (٤/ ٣٢٨- ٤٢٩)، بتصرف.

(٢) الرُّبْدَة: لون بين السواد والغُبْرَة. ومعناه: يريد ارْبِدادَ القلب من حيث المعنى لا الصورة؛ فإن لَوْن القلب إلى السَّواد. ينظر: النهاية في غريب الأثر، مادة: (ربد)، (٢/ ١٨٣).

(٣) المُجَخِّي: المائل عن الاستقامة والاعتدال، فشبَّه القلب الذي لا يعي خيرًا بالكوز المائل الذي لا يثبت فيه شيء. النهاية (١/ ٢٤٢).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان يبدأ الإسلام غريبًا (١٤٤). من حديث: حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فبالفتن يصيب القلب آفتان: اسوداد القلب، وانتكاسه.

ويتولد عن ذلك مرضان: لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا، وقد يتمادى به المرض، فيكون المعروف عنده منكرًا والمنكر معروفًا ـ والعياذ بالله.

وقد جاء من كلام حذيفة رضوان الله عليه أن القلوب أربعة:

١- قلب أجرد فيه سراج مزهر.. فذاك قلب المؤمن.

٢- قلب أغلف... فذاك قلب الكافر.

٣- قلب منكوس... فذاك قلب المنافق، عرف ثم أنكر، وأبصر ثم عمي.

٤- قلب تمدّه مادتان: مادة إيمان ومادة نفاق، فهو لما غلب عليه منهما(١).

---

(١) أخرجه بنحوه ابن أبي شيبة في الإيمان (ح: ٥٤) (ص١٧) وفي المصنف (ح: ٣٧٣٩٥)، والطبري في تفسيره (١/ ٤٠٦ مختصرًا)، وابن أبي الدنيا في الإخلاص كما في الدر المنثور (١/ ٢١٤) عن حذيفة موقوفًا. قال أحمد شاكر في تعليقه على الطبري (٢/ ٣٢٤): «إسناده جيد إلا أنه منقطع».

وقد ورد معناه مرفوعًا إلى النبي ﷺ عن أبي سعيد الخدري عند أحمد في المسند (٣/ ١٧)، والطبراني في الصغير (ص٢٢٣)، وأبي نُعيم في الحلية (٤/ ٣٨٥). قال الهيثمي في المجمع: «في إسناده ليث بن أبي سليم»، وجوَّد السيوطي إسناد أحمد كما في الدر (١/ ٢١٥)، وصححه أحمد شاكر في تعليقه على الطبري (٢/ ٣٢٥)، وضعَّفه الألباني في الضعيفة (ح: ٥١٥٨) (١١/ ٢٦٣). وينظر شرح هذا الأثر والتعليق عليه؛ مجموع الفتاوى (١٠/ ٤٥٢) و(١٥/ ٢٨٢- ٢٨٥) و(١٨/ ١٦٤- ١٦٥). وإغاثة اللهفان (١/ ٤٥) والوابل الصيب (ص١٣٣- ١٣٤) وصيد الخاطر (ص١٩).

فالواجب على المسلم الحريص على سلامة قلبه الاجتهاد في تكثير مادة الإيمان وتقليل مادة النفاق، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

وقد ورد عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «أخاف عليكم فتنًا كأنها الدخان، يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه»[1].



(١) الفتن للإمام نعيم بن حماد المروزي (ص٥٩) رقم (١١٦) تحقيق: أيمن محمد عرفة.

المبحث الرابع

أنـــــواع الفـــــتن

نظرًا لتعدد معاني الفتنة فقد تعددت أنواعها ـ كما تقدم ـ فهناك إضافة إلى ما تقدم فتن السراء وفتن الضراء، وفتن ما قبل الموت وفتن ما بعده، وفتن ما بين يدي الساعة، وغيرها، ويمكن تقسيم الفتن باعتبار محلها ومَن تقع عليه إلى نوعين:

الأول: الفتن الخاصة: وهي كما قال ﷺ: «فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصيام والصدقة والأمر والنهي»[(١)]، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥].

وأشارت السنة الشريفة إلى العديد من هذا النوع، كفتنة المال، وفتنة النساء، وفتنة المحيى وفتنة الممات، وفتنة الغنى وفتنة الفقر، وفتنة القبر، وفتنة الصدر ـ وهي الوساوس ـ وفتنة النار، وغيرها.

وهذه ليست مجال بحثنا هنا.

الثاني: الفتن العامة التي تعم الصالح والطالح، الذكر والأنثى، الكبير والصغير، وهي التي ذكرها الله تبارك وتعالى بقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ

(١) أخرجه البخاري في عدة مواضع منها مواقيت الصلاة ح: ٥٢٥ و ح: ١٤٣٥ و١٨٩٥ و٧٠٩٦ وغيرها، وأخرجه مسلم بنحوه، في كتاب الإيمان، باب: رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب (١٤٤)، من حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

﴿فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ﴾ [الأنفال: ٢٥]، وجاء وصفها في أحاديث النبي ﷺ، بأن منها التي تموج كموج البحار، ومنها كقطع الليل المظلم، والتي تأتي كالظل، والتي لا تدع بيتًا إلا دخلته، ومنها الصماء البكماء العمياء، وقد قال ﷺ: «**منهن ثلاث لا يكدن يذرن شيئًا، ومنهن فتن كرياح الصيف، منها صغار ومنها كبار**»(١).

وهذا العموم عموم نسبي بحسب الزمان والمكان والأحوال.

وهذه لها صور كثيرة، ومن أخطرها فتنة التفرق والاختلاف والاقتتال بين المسلمين، وهي التي سأل النبي ﷺ ربَّه فمنعه إياها، فقال ﷺ: «**سألت ربي ثلاثًا فأعطاني ثنتين، ومنعني واحدة، سألت ربي ألا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته ألا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها**»(٢)، وهي التي قال الله تعالى فيها: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ﴾ [الأنعام: ٦٥]، وهذه ملازمة للأمة منذ صدرها الأول إلى أن يقاتل آخرها الدجال مع المسيح ابن مريم ـ عليه السلام ـ عند قرب قيام الساعة.

وعن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال: «كنا جلوسًا عند عمر رضي الله عنه

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: إخبار النبي صلى الله عليه وسلم فيما يكون إلى قيام الساعة (٢٨٩١)، من حديث: حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: هلاك هذه الأمة (٢٨٩٠)، من حديث: سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

فقال: أيكم يحفظ قول رسول الله ﷺ في الفتنة؟ قلت: أنا، كما قاله. قال: إنك عليه ـ أو عليها ـ لجرئ. قلت: فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصوم والصدقة والأمر والنهي. قال: ليس هذا أريد، ولكن الفتنة التي تموج كما يموج البحر؟ قال: ليس عليك منها من بأس يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها بابًا مغلقًا. قال: أيكسر الباب أم يفتح؟ قال: يكسر. قال: إذًا لا يغلق أبدًا. قلنا: أكان عمر يعلم الباب؟ قال: نعم، كما أن دون الغد الليلة، إني حدثته بحديث ليس بالأغاليط. فَهِبْنَا أن نسأل حذيفة، فأَمَرْنا مسروقًا فسأله، فقال: الباب عمر»[1]. وهذا الحديث أصل في أبواب الفتن.

وأول هذه الفتنة هو ما حدث بين الصحابة رضوان الله تعالى عليهم بعد مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

وهناك فتن أخرى كثيرة من أهمها:

- فتن البدع والخرافات والشركيات المستشرية بين المسلمين وفي كثير من أوطانهم.

- فتن تسلط الأعداء على الأمة وحربهم الضروس للإسلام وأهله ونهب أموالهم وبلادهم وممتلكاتهم ومدخراتهم.

- فتنة الذل الذي أصاب المسلمين بسبب تركهم الجهاد، كما قال ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد؛ سلط الله عليكم ذلًا، لا ينزعه حتى ترجعوا إلى**

(١) أخرجه البخاري في المواقيت، باب الصلاة كفارة (٥٢٥)، ومسلم في الفتن (١٤٤).

دينكم»[1].

- فتنة التغريب، والانبهار بالمدنية الغربية والافتتان بالليبرالية والعولمة والديمقراطية، والدعوة إلى عصرنة الإسلام وتطويعه لرغبات الغرب أو الشرق وطروحاتهم وتفسيره تفسيرًا مرنًا متوافقًا مع معطيات المدنية الغربية وما ترتب على ذلك من الهجوم على النص الشرعي (الكتاب والسنة) وآثار السلف الصالح من الصحابة والتابعين والسعي إلى تحطيم قداسته والتقليل من شأنه وتقديم العقل وتحكيمه، وفتنة إقصاء الشريعة والحكم بغير ما أنزل الله في كثير من بلاد المسلمين.

- فتن الاختلاف والتناحر والاقتتال بين المسلمين على الزعامات أو السلطة، وحب الترؤس أو حظوظ الدنيا، أو العصبيات والتحزبات الجاهلية، والتعادي بين المسلمين، وفتن التكفير والتبديع والتفسيق بغير حق، وفتن الفتاوى المضلة والانحرافات العقدية والفكرية والمذاهب الهدامة، وما ترتب على ذلك من غلو وتطرف عند بعض أبناء الأمة، أو انحلال وانسلاخ عند بعضها الآخر.

- فتنة قلب الحقائق وتلبيس الحق بالباطل والتلاعب بالمصطلحات، والتي تولى كِبرها وسائل الإعلام وكتَّابها، فالاحتلال عندهم تطهير، والدفاع عن النفس إرهاب، وحرية رأي وتعددية،

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب أبواب الإجارة، باب: في النهي عن العينة (٣٤٦٢)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٣١٦)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وصححه الألباني بمجموع طُرقه، السلسلة الصحيحة، برقم: (١١).

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تدخل في شؤون الآخرين، والانحلال حرية، واتباع السنة تشدد، والإفساد إصلاح، والإصلاح إفساد... إلخ.

- فتن الشبهات والشهوات التي تدعو لها القنوات الفضائية والمجلات والصحف والإعلانات، والشبكة العنكبوتية العالمية (الانترنت) ومواقعها وما تحتويه من مصائب، تؤدي إلى بلبلة الأفكار واضطراب الأفهام والتشكيك في الدين وأهله.

- فتن المخدرات والمسكرات وانتشارها بين المسلمين وما يترتب عليها من مصائب في الأُسر والمجتمعات.

- فتنة المرأة والدعوة إلى (تحررها ـ زعموا ـ) وإخراجها من بيتها وحجابها وعفتها، واختلاطها المحرم بالأجانب.

- فتنة السياحة والسفر إلى بلاد الكفر، والابتعاث غير المنضبط، وتمجيد الكفار وأهل الخلاعة والمجون.

- فتنة الكرة والرياضة والفن وغيرها.

- فتنة المال وفشو الربا وصور التحايل عليه، وفتنة الزنا، وسائر أنواع الفواحش.. وتساهل الناس في ذلك، وقد قال ﷺ: «**لم تظهر الفاحشة في قوم قط، حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع، التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا**»[1].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في الفتن، باب: العقوبات (٤٠١٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٨٣)، وصححه ووافقه الذهبي. من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم: (١٠٦).

إلى غير ذلك من الصور الكثيرة التي يصعب حصرها، كفى الله المؤمنين شرها.

وهناك من قسَّم الفتن باعتبار أسبابها وباعتبار زمانها، وتفصيل ذلك في غير هذا البحث المختصر(١).



(١) ينظر: منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع الفتن، د. عبد الرحمن بن عبد الرحيم القرشي، رسالة دكتوراه من جامعة أم القرى ١٤٢٩هـ. غير منشور.
الفتنة وآثارها المدمرة، د. أحمد بن إبراهيم بن أحمد.

المبحث الخامس

أسبـــــاب الفـــتن

أما عن أسباب الفتن ـ أعاذنا الله جميعًا منها ـ فمن أهمها وأعظمها، وهو السبب الكلي الجامع لكل الأسباب الجزئية: البُعْد عن الاستقامة على دين الله عقيدة وشريعة وأخلاقًا. قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، فدلت الآية صراحة على أن المخالف لأمر الله متوعَّد بفتنة أو عذاب أليم.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٢٤- ٢٥]، فالأمر باتقاء الفتنة بعد أمره تعالى بالاستجابة لله وللرسول مشعر بأن اتقاء الفتنة هو بالاستجابة لله ورسوله، وأن عدم الاستجابة لله ورسوله مؤذن بالوقوع فيها.

وقد ذكر الله تعالى بعض صور عدم الاستجابة المؤذنة بوقوع الفتن والفساد الكبير، فذكر منها عدم تحقيق مبدإِ الولاء والبراء الذي فرضه الله تعالى على المؤمنين قال عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ

﴿تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٢- ٧٣]، والمعنى ـ كما رجح ابن جرير من تفسيرات السلف ـ أي: «إلا تفعلوا ما أمرتكم به من التعاون والنصرة على الدين تكن فتنة في الأرض»[١].

كما جعل الله تعالى ترك الجهاد في سبيله من أكبر أسباب الفتن العامة، وهي وقوع العداوة والبغضاء بين المسلمين حتى يقع بينهم الاقتتال وسفك الدماء. قال الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٩]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإذا ترك الناس الجهاد في سبيل الله فقد يبتليهم بأن يوقع بينهم العداوة حتى تقع بينهم الفتنة كما هو الواقع. فإن الناس إذا اشتغلوا بالجهاد في سبيل الله جمع الله قلوبهم وألّف بينهم، وجعل بأسهم على عدو الله وعدوهم، وإذا لم ينفروا في سبيل الله عذّبهم الله بأن يَلْبسهم شيعًا ويذيق بعضهم بأس بعض»[٢].

وذكر النبي ﷺ صورة أخرى من الصور الجزئية المتعلقة بأحكام الأسرة والنكاح فقال ﷺ: «**إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخُلقه فزوجوه**». وقال بعد ذلك: «**إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**»[٣]. وهذا مؤذن بأن أي تمرد على ما جاء به الرسول ﷺ

(١) التفسير (١٠/ ٥٦).

(٢) مجموع الفتاوى (١٥/ ٤٤- ٤٥).

(٣) وأخرجه الترمذي وحَسَّنه في النكاح باب (٣) (٣/ ٣٨٥) (ح: ١٠٨٤، ١٠٨٥)، وابن ماجه في النكاح باب (٤٦) (ح: ١٩٦٧) (١/ ٦٣٢). وحسَّنه الألباني كما في الصحيحة (١٠٢٢).

وخروج عن قيم الإسلام ومبادئه الكبيرة والصغيرة فهو سبب من أسباب وقوع الفتن والفساد.

وهذا ما فهمه الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد سأله رجل من أين أُحرم؟ قال: من ذي الحليفة، من حيث أحرم النبي ﷺ. فقال: إني أريد أن أُحرم من المسجد من عند القبر. فقال: لا تفعل فإني أخشى عليك الفتنة. فقال: وأي فتنة في هذه؟ إنما هي أميال أزيدها! قال: وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قَصَرَ عنها رسول الله ﷺ؟! إني سمعت الله يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣][1]. فكل مخالفة لهدي النبي ﷺ ـ وإن رآها الإنسان يسيرة ـ فهي سبب للفتنة والعذاب الأليم، نسأل الله العافية.

هذا: بالإضافة إلى الآيات الكثيرة الدالة: على أن ما يصيب المسلمين من مصائب، ومنها الفتن ـ بل هي من أعظمها ـ إنما هو بسبب الذنوب والمعاصي والتقصير، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ﴾ [آل عمران: ١٦٥]. قال العباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «اللهم إنه لم

---

(١) أخرجه القاضي أبو بكر ابن العربي في أحكام القرآن (٣/ ١٤١٢ - ١٤١٣). وأخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه (١/ ١٤٨)، وأبو نُعيم في الحلية (٦/ ٣٢٦) ــ مختصرًا ــ، وذكره الشاطبي في الاعتصام (١/ ١٣٢).

ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يرفع إلا بتوبة»[١].

وقال سبحانه: ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦]، فدلت الآية على أن تدمير القرى وعذابها؛ إنما هو بسبب فسوق المترفين من أهلها. وهذا بناء على القراءة المشهورة (أَمَرْنا) وقرأ أبو عثمان النَّهْدي وغيره (أمَّرنا) بتشديد الميم من الإمارة، فيكون معناها كما هو مروي عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا: «سلطنا أشرارها فعصوا فيها، فإذا فعلوا ذلك أهلكناهم بالعذاب»[٢].

وأهم أسباب البعد عن الاستقامة على دين الله تعالى المُوقع في الفتنة لا يخرج عادة عن أحد أمرين أو كليهما، وهما:

١ ـ فساد في العلم. ومرد ذلك إلى الجهل بدين الله تعالى.

٢ ـ أو فساد في القصد، ومرد ذلك إلى الهوى.

وقد جمع الله تبارك وتعالى بينهما في قوله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [ص: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ﴾ [النجم: ٢٣]، فاتباع (الظن) فساد في العلم، (وما تهوى الأنفس) فساد في القصد. ولذا شرع الله تعالى على المكلفين في كل ركعة من صلاتهم الاستعاذة من طريق (المغضوب عليهم) وهم مَن فسد

---

(١) أخرجه الزبير بن بكار في كتابه: الأنساب، في صفة ما دعا به العباس لما طلب منه عمر بن الخطاب الاستسقاء لما قحطوا... ونقله الحافظ في الفتح (٢/ ٤٩٧).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٥/ ٥٥).

قصدهم و(الضالين) وهم مَن فسد علمهم فعبدوا الله بغير علم.

والدافع إلى ذلك لا يخرج عادة عن أحد أمرين:

١ ـ إما بسبب شبهة. والشبهة أصلها نقص في العلم بالحق الذي بعث الله به رسوله ﷺ، أو نقص في فهمه بعد بلوغه وهي قلة البصيرة فيه، وهنا ينشأ الاشتباه في ذهن المكلف؛ فتضعف بصيرته وإدراكه مواطن الحق في أقواله وأعماله، فتمكُّن الشبهات واستحكامها من أكبر أسباب الفتن.

قال حذيفة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ: «إذا اشتبه عليك الحق بالباطل فلم تدر أيهما تتبع فتلك الفتنة»(١).

وفي رواية عنه أنه سُئل عن أي الفتن أشد؟ قال: «**أن تعرض على قلبك الخير والشر فلا تدري أيهما تركب**»(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الفتنة نوعان: فتنة الشبهات ـ وهي أعظم الفتنتين ـ وفتنة الشهوات، وقد يجتمعان للعبد، وقد ينفرد بإحداهما؛ ففتنة الشبهات من ضعف البصيرة، وقلة العلم، ولاسيَّما إذا اقترن بذلك فساد القصد وحصول الهوى، فهناك الفتنة العظمى والمصيبة الكبرى، فَقُلْ ما شئت في ضلال سيئ القصد، الحاكم عليه الهوى لا الهدى، مع ضعف بصيرته وقلَّة علمه بما بعث الله به رسوله، فهو من

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة (١٥/ ٧٠).

(٢) المصدر نفسه (٧/ ٥٠٣) (ح: ٣٧١٣٦). وأخرجها نعيم بن حماد في الفتن (ص٥٩) رقم (١١٨) بإسناد حسن.

الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [النجم: ٢٣]»(١).

إلى أن قال: «وهذه الفتنة تنشأ تارة من فهم فاسد، وتارة من نقل كاذب، وتارة من حق ثابت خفي على الرجل فلم يظفر به، وتارة من غرض فاسد وهوًى متبعٍ؛ فهي من عَمًى في البصيرة وفسادٍ في الإرادة»(٢).

فعند تمكن الشبهة يزيغ القلب، فيتبع المتشابه فيقع في الفتنة، كما قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

٢ ـ وقد يكون ذلك بسبب الشهوة، والشهوات مما جبلت النفوس على محبتها ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: ١٤]، وحفت النار بالشهوات(٣)، لكن المؤمن مأمور بتقييد هذه الشهوة باتباع الشرع، وصرفها فيما يحل؛ لأنه إذا انفلت منه زمام شهوته وقع في الحرام فتردى في الفتنة. والخطورة تعظم وتشتدّ عند اجتماع السببين،

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ١٦٥).

(٢) المصدر نفسه (٢/ ١٦٦).

(٣) قطعة من حديث أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (ح: ٧١٣٠).

وقَلَّ أن توجد شبهة إلا وهي مشربة بهوى وشهوة. نسأل الله العافية.

وهناك أسباب تفصيلية أخرى جزئية باعتبارات مختلفة أخرى، كالأسباب العقدية كفتنة الخوارج والرافضة، وأسباب سياسية، وأسباب اقتصادية، وأسباب اجتماعية، وغيرها[١]، وليس هذا مكان تفصيلها.



(١) ينظر لبعض هذه الأسباب: كتاب الفتنة وموقف المسلم منها (ص٣٥- ٦٦).

المبحث السادس

علامة مَن وقع في الفتنة

وهناك علامات يعرف بها المرء مَن وقع في شيء من الفتنة، أو أصابه شيء من غبارها، ومَن لا يزال سليمًا منها، نسأل الله السلامة والعافية.

ومن أبرز هذه العلامات:

١ ـ أن يرى ما كان حرامًا بالأمس حلالًا اليوم أو العكس.

وهذا ما أرشد إليه فقيه الفتن حذيفة ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ حينما قال: «الفتنة تعرض على القلوب.... فمن أحب منكم أن يعلم أصابته الفتنة أم لا، فلينظر فإن كان رأى حلالاً كان يراه حرامًا، أو حرامًا كان يراه حلالاً فقد أصابته الفتنة»[(١)].

وليس ذلك بسبب أنه كان يجهل الدليل فعلمه، أو كان يجهل معنى الدليل فظهر له معناه، وإنما بسبب الشبهات والمؤثرات الخارجية، ونقص دينه وإيمانه، وتغيُّر فكره وعقله بسبب الفتن مِن حوله، فيتغير الميزان عنده، فينقلب الحلال البيِّن حرامًا، والحرام البيِّن حلالًا، بل قد يصل ـ والعياذ بالله ـ إلى أن ينقلب المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، أو أن تختلط عليه الأمور فيقف حيرانَ مترددًا كما سيأتي في الكلام على أثر الشبهات قريبًا.

---

(١) المصدر السابق (ص٦١) رقم (١٢٩).

فالثبات على الحق من خصائص أهل السنة والجماعة، كما أن التنقل من سمات أهل الأهواء والبدع المفتونين، وهو ثمرة الجدال، ولذلك قال عمر بن عبد العزيز ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «من جعل دينه غرضًا للخصومات أكثر التلون»[(١)]، قال ابن تيمية: «أما أكثر السلف فما أعلم عن أحد من علمائهم ولا صالح عامتهم رجوعًا عما هو عليه...»[(٢)]. يعني من الحق القائم على الدليل من الكتاب والسنة.

٢ ـ التلوّن في دين الله:

فالتلون في دين الله علامة من علامات مَن وقع في الفتن، وأكثر ما يكون ظاهرًا عند المنافقين ـ بيت الفتن ـ فإذا رأيت الرجل كل يوم له رأي، وكل يوم له موقف، وأصبح يتقلب ذات اليمين وذات الشمال، فاعلم أنه من ضحايا الفتن، نسأل الله الثبات على الأمر والعزيمة على الرشد.

ولذلك ورد من حديث سهل بن سعد ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «**إياك والتلوّن في دين الله**»[(٣)]. وقال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه (ح: ٣١٠) (١/ ٧٧)، والآجري في الشريعة بإسناد صحيح (ح: ١١٦) (١/ ٢٥٧)، واللالكائي في شرح الأصول (ح: ٢١٦) (١/ ١٣٨)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (ح: ٥٤١) (ص٣٧٥)، وعبد الله بن أحمد في السنة (ح: ١٠٣) (١/ ١٣٨)، وذكره ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث (ص٦٣).

(٢) نقض المنطق (ص٤٢).

(٣) رواه الطبراني في الكبير ـ بإسناد حسن ـ (ح: ٥٨٥١) (٥/ ٤٩٠) قال الهيثمي: رواه الطبراني بإسنادين، رجال أحدهما ثقات. مجمع الزوائد (١/ ٥٢٧)، ورواه البيهقي في سننه الكبرى (ح: ٢٠٣٨٩) (١٠/ ٤٢)، والحاكم في المستدرك (٨٥٤٥) (٤/ ٥٠٦) =

الضلالة أن تعرف ما كنت تنكر، وتنكر ما كنت تعرف، وإياك والتلون في الدين»[1]. وعن إبراهيم قال: «كانوا يكرهون التلون في الدين»[2].

٣ ـ اتباع المتشابه وعدم ردِّه إلى المحكم:

وقد وصف الله تعالى مَن هذه حاله بأنه ممن في قلوبهم زيغ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ [آل عمران: ٧]، فيتبعون من الأدلة المتشابه «ليحققوا بادعائهم الأباطيل من التأويلات في ذلك ما هم عليه من الضلالة والزيغ عن محجة الحق، تلبيسًا منهم بذلك على من ضعفت معرفته بوجوه تأويل ذلك وتصاريف معانيه»[3].

كما يتبعون من الفتاوى الشاذّ وزلات العلماء ـ كما سيأتي تفصيله في الحث على الإلتفاف حول العلماء الربانيين والصدور عن رأيهم ـ وقد قال الإمام الدارمي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ عن هذا الصنف: «إن الذي يريد الشذوذ عن الحق يتبع الشاذ من قول العلماء والتعلق بزلاتهم، والذي يؤم الحق

= موقوفًا على ابن مسعود ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ ورواه عبد الرزاق في مصنفه (ح: ٢٠٤٥٤)، وابن أبي شيبة (٣٤٨٠٧)، والبيهقي في الكبرى (٢٠٣٨٩) موقوفًا على حذيفة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ.

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢٠٤٥٤) وابن بطة في الإبانة الكبرى (ح: ٥٧١-٥٧٣) (٢/ ٥٠٤- ٥٠٥)، واللالكائي في شرح الأصول (ح: ١٢٠) (١/ ٩٠)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٣).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٣٣).

(٣) تفسير الطبري (٣/ ١٧٦).

من نفسه يتبع المشهور من قول جماعتهم، وينقلب مع جمهورهم، فهما آيتان يستدل بهما على اتباع الرجل وعلى ابتداعه»[1].

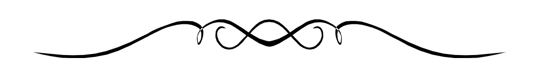
٤ ـ التسويغ للباطل والتعذير له.

ومدح أهله والإشادة بهم والتقرب إليهم وتكلف المعاذير لهم في مخالفاتهم والتهوين من شأنها.

في مقابل الطعن في الحق وأهله، والنفرة منهم، وتتبع زلاتهم وتضخيمها والفرح بها ونشرها، واللهج بذكرها.

وهذه من أعراض مرض الفتنة الذي خامر قلبه ودبَّ إلى فكره وعقله.

وهناك بعض العلامات والأعراض الأخرى، تأتي الإشارة إليها في تضاعيف البحث.



(١) الرد على الجهمية (ص١٢٩).

الفَصْلُ الثَّانِي

سُبل النجاة والوقاية من الفتن قبل وقوعها

وبعد بيان خطر هذه الفتن، وتحذير الله تعالى ورسوله ﷺ منها، وبيان أهم أسبابها؛ يتبادر إلى الذهن سؤال ـ بعد ذلك ـ وهو: ما هي سُبل النجاة والوقاية منها قبل وقوعها[١]؟

والإجابة على هذا السؤال تكون في المباحث التالية:

* المبحث الأول: الاعتصام بالكتاب والسنة ظاهرًا وباطنًا:

فأكبر وسيلة للوقاية من كل الدنيوية والأخروية هي الاعتصام التام بالكتاب والسنة بحيث يكون بعيدًا عن الأهواء والبدع والمخالفات، متقيدًا في ذلك بالكتاب والسنة، يدور معهما حيث دارا، ولا يحيد عنهما قِيد أَنْمُلة، وافق ذلك هواه أو أهواء الآخرين، أو لم يوافقه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]. والاعتصام: افتعال من العصمة، وهي المنعة، والعاصم: المانع الحامي ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود: ٤٣]، والاعتصام: الاستمساك بالشيء[٢]، والمراد هنا: الاستمساك بالكتاب

---

(١) هناك تداخل بين مباحث هذا الفصل والذي يليه لتعلقهما ببعضهما، وبعض السبل والوسائل مشتركة بين ما قبل وما بعد الوقوع.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٢٤٩). وينظر: المفردات في غريب القرآن (ص٣٣٧).

والسنة كقوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ﴾ [الزخرف: ٤٣].

وقد تواترت نصوص الكتاب والسنة وأقوال السلف في التنبيه على هذا الأمر العظيم، وأن التمسك بهما هو السبب الرئيس للنجاة من الفتن كلها.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وحبل الله: القرآن، وطاعة الله ورسوله ﷺ التي جاءت النصوص الكثيرة مؤكدة عليها، كما قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٢]، وقال عز من قائل: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩].

وهذه الآية ـ أعني ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ ﴾ ـ قد تضمنت الأمر بالاتباع والنهي عن الافتراق، فوصفت الداء والدواء، فالداء الفرقة، ودواؤه الاعتصام بالكتاب والسنة.

وقريب من معنى هذه الآية وفيه التحذير من الفتنة صراحة ـ كما تقدم ـ قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٢٤- ٢٥].

فالآية صريحة في أن النجاة من الفتنة العامة هي في الاستجابة لله

وللرسول ﷺ. «وإنما تتقى الفتنة بالاستغفار من الذنوب والعمل الصالح»[١].

وقد جاءت الأحاديث النبوية الصريحة التي تبين أن العصمة من الفتن والضلال هي في الاستمساك بالكتاب والسنة.

قال ﷺ: «**تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به؛ كتاب الله**»[٢]، وقال ﷺ: «**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه**»[٣].

وقد بيَّن لنا النبي ـ ﷺ ـ الداء والدواء أيضًا؛ في الحديث المشهور عن العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: وَعَظَنا رسول الله موعظة بليغة ذرفت لها العيون، ووجلت منها القلوب، قلنا أو قالوا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع؛ فأوصنا، قال: «**أوصيكم بتقوى الله عز وجل، والسمع والطاعة، وإن كان عبدًا حبشيًا، فإنه من يعش منكم يرى بعدي اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور...**»[٤].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥/ ٤٤).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب: حجة النبي صلى الله عليه وسلم (١٢١٨). من حديث: جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ بلاغًا (٣٣٣٨). وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٤٠).

(٤) أخرجه أحمد (٤/ ١٢٧) (ح: ١٧١٤٣) ـ واللفظ له ـ وأبو داود في السنة، باب: في لزوم السنة (٤٦٠٧)، وابن أبي عاصم في السنة (٣٢)، وابن حبان بترتيب ابن بلبان (٥) (١/ ١٧٨) وغيرهم. وصححه الألباني في الصحيحة (٢٧٣٥)، ومحققو المسند (٢٨/ ٣٧٣).

فبيَّن ﷺ أن الداء هو الاختلاف الكثير، ثم بَيَّن دواءه وهو: تقوى الله، والسمع والطاعة، والاتباع، والحذر من البدع.

فطريق النجاة؛ هو: التمسك بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، وهي أقوم الطرق التي لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. وبين معنى ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم، فعن عبد الله بن مسعودٍ ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ قال: خطّ لنا رسول الله ﷺ خطًّا، ثمّ قال: «**هذا سبيل الله، ثمّ خطّ خطوطًا عن يمينه وعن شماله**»، ثمّ قال: «**هذه سبل** ـ قال يزيد: متفرّقة ـ **على كلّ سبيلٍ منها شيطان يدعو إليه**»، ثمّ قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[1].

وقال الزهري: «كان من مضى من علمائنا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة»[2]. وروي عن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: «السنة سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق»[3].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٤٣٥)، والدارمي في سننه (١/ ٧٨)، وابن حبا ن في صحيحه (١/ ١٨٠)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٣٤٨)، وصححه الألباني في تخريجه شرح العقيدة الطحاوية، (ص٥٨٧).

(٢) أخرجه الدارمي في سننه (١/ ٥٨)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٥٦).

(٣) أخرجه الهروي في ذم الكلام (٤/ ١٢٤). وينظر: شرح العقيدة الأصفهانية، لابن تيمية، (ص١٧٩)، ومجموع الفتاوى (٤/ ١٣٧).

وعن عبد الله بن عبد الرحمن بن أَبْزَى، عن أبيه قال: لما وقع من أمر عثمان ما كان، تكلَّم الناس في أمره، فأتيت أُبَيَّ بن كعب، فقلت: أبا المنذر، ما المخرج؟! قال: كتاب الله[1].

ومصداق ذلك ما رُوي عن النبي ﷺ، من الحديث المشهور عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا إنها ستكون فتن**». فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «**كتاب الله...**» الحديث[2].

ومن عجيب فقه الإمام البخاري ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ أنه لما ذكر كتاب الفتن، أعقبه بكتاب الأحكام ثم التمني ثم خبر الآحاد ثم كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، فكأنه يقول: إنه عند الفتن فلابد من معرفة الأحكام، وذكر فيه أحكام الولاة والحُكَّام، والطاعة ولزوم البيعة... إلخ؛ لأن أكثر الفتن هي من قبيل الافتئات على الحكام والتنازع على الولاية. ثم ذكر كتاب التمني ـ زاد أبو نعيم عن الجرجاني: والأماني[3] ـ لأن أكثر الفتن تنشأ من طلب تحقيق الأماني. ثم ذكر خبر الآحاد وضرورة التثبت في النقل؛ لأن أكثر مادة الفتن من الأخبار غير الثابتة والشائعات. وختم ذلك بالاعتصام بالكتاب والسنة؛ لأنه سبيل

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٤٣).

(٢) أخرجه الترمذي في فضائل القرآن، باب: ما جاء في فضل القرآن (٢٩٠٦)، والدارمي في سننه (٣٣٧٥). من طريق: حمزة الزيات، عن أبي المختار الطائي، عن أبي أخي الحارث الأعور، عن الحارث، عن علي. قال الترمذي: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الزَّيات، وإسناده مجهول، وفي حديث الحارث مقال». وضعفه الألباني في الضعيفة (٦٣٩٣).

(٣) ينظر: فتح الباري (١٣/ ٢١٧).

النجاة والمخرج من الفتن. أعاذنا الله منها.

وعلى كل فالعلاقة بين هـذه الأبـواب ظـاهرة، والله أعلـم بمـراد البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقد لخَّص ابن القيم ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ حقيقة الاعتـصام بـالقرآن، فقـال: «هو تحكيمه دون آراء الرجال، ومقاييـسهم ومعقـولاتهم وأذواقهـم، وكشوفاتهم ومواجيدهم، فمن لم يكن كـذلك، فهـو منـسلّ مـن هـذا الاعتصام، فالدين كله في الاعتصام به وبحبله، علمًا وعملًا وإخلاصًا، واستعانة ومتابعة، واستمرارًا على ذلك إلى يوم القيامة»[١].

ويزيد ذلك إيضاحًا بقوله ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «ولا ينجي من هـذه الفتنـة ـ يعني فتنة الشبهات ـ إلا تجريد اتباع الرسـول، وتحكيمـه في دِقِّ الـدِّين وجِلِّه، ظاهره وباطِنِه، عقائده وأعماله، حقائقه وشرائعـه، فيتلقـى منـه حقائق الإيمان وشرائع الإسلام، وما يثبته لله مـن الـصفات والأفعـال والأسماء، وما ينفيه عنه، كما يتلقى عنـه وجـوب الـصلوات وأوقاتهـا وأعدادها، ومقـادير نُـصُب الزكـاة ومـستحقيها، ووجـوب الوضـوء والغسل من الجنابة وصوم رمـضان، فـلا يجعلـه رسـولًا في شيء دون شيء من أمور الدين؛ بل هو رسول في كـل شيء تحتـاج إليـه الأمـة في العلم والعمل، لا يُتَلَقى إلا عنه ولا يؤخذ إلا منه، فالهـدى كلـه دائـر على أقواله وأفعاله، وكل ما خرج عنها فهو ضلال.

فإذا عقد قلبه على ذلك، وأعرض عما سـواه، ووزنـه بـما جـاء بـه

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٣٣٨).

الرسول؛ فإن وافقه قَبِلـه، لا لكـون ذلـك القائـل قالـه، بـل لموافقتـه للرسالة، وإن خالفه ردَّه، ولو قاله من قاله، فهذا الذي ينجيه مـن فتنـة الشبهات، وإن فاته ذلك أصابه من فتنتها بحسب ما فاته منه»(١).

* المبحث الثاني: التفقه في الدين:

واعتـصام المـؤمن بالكتـاب والـسنة يقتـضي منـه التفقـه فـيهما، والاجتهاد في أن يكون أهلًا للخيرية الموعودة من الله تعالى، قـال ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يفقهـه في الـدين**»(٢)، ويتأكـد هـذا الأمـر في أيـام الفتن؛ لأن من أكبر أسبابها فُشُوًّا الجهل ونقصَ العلم، وارتبـاط ذلـك بظهور الفتن ارتباط وثيق، قال ﷺ: «**يتقارب الزمان، وينقص العمل، ويُلْقَى الـشُّحُّ، ويكثـر الـهَرْجُ**» قـالوا: ومـا الــهَرْجُ؟ قـال: «**القتـل، القتل**»(٣). وقال ﷺ: «**إن من أشراط الساعة أن يرفـع العلـم، ويظهـر الجهل**»(٤).

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ١٦٥- ١٦٦).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب: من يـرد الله بـه خـيرًا يفقهـه في الـدِّين (٧١)، ومسلم في كتاب الزكـاة، بـاب: النهـي عـن المسألة (١٠٣٧). مـن حـديث: معاويـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخـل (٦٠٣٧). ومسلم في كتاب الفـتن، بـاب: إذا توجـه المسلمان بـسيفيهما (١٧٥). مـن حديث: أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الحدود، باب: إثم الزناة (٦٨٠٨). ومسلم في كتاب العلم، باب: رفع العلم وقبضة العلم (٢٦٧١). من حديث: أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال ابن تيمية: «إذا انقطع عن الناس نورُ النبوة وقعوا في ظلمة الفتن، وحدثت البدعُ والفجور، ووقع الشرُّ بينهم»[١].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإذا افتقر العبد إلى الله ودعاه، وأدمن النظر في كلام الله وكلام رسوله، وكلام الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين: انفتح له طريق الهدى...»[٢].

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩]. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ... ﴾ [الأنفال: ٢٩]. أي تفرقون به بين الحق والباطل. قال ابن إسحاق: «يجعل لكم فصلًا بين الحق والباطل»[٣].

فكل أنواع الفتن الخاصة والعامة لا سبيل للتخلص منها والسلامة من آثارها إلا بالتفقه في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والتزام منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباعهم في التعامل معها.

والفتن عادة لا تخرج ـ كما تقدم ـ عن واحدة من هذه المسببات.

١ ـ فتن الشبهات، والشبهات هي منبع الغوايات، وسبب الضلالات، وهذه لا تكشف إلا بالعلم.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧/ ٣١٠).

(٢) المصدر نفسه (٥/ ١١٨).

(٣) أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٨٥١).

وفي الفتن تفشو البدع وتكثر، ولا علاج لها إلا بالتأصيل العلمي الراسخ، فعن يزيد بن عميرة، قال: كان معاذ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، لا يجلس مجلسًا للذكر، إلا قال ـ حين يجلس ـ: «الله حَكَمٌ قِسْطٌ، هلك المرتابون»، فقال يومًا: «إن من ورائكم فتنًا يكثر فيها المال، ويفتح فيها القرآن حتى يأخذه المؤمن والمنافق، والرجل والمرأة، والصغير والكبير، والعبد والحر، فيوشك قائل أن يقول: ما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن؟ ما هم بمتبعي حتى أبتدع لهم غيره، فإياكم وما ابتدع، فإنما ابتدع ضلالة»(١). وتقدم الكلام على أثر الشبهات في نشوء الفتن وعلاقتها بها.

٢ ـ وفتن الشهوات، وهذه لا تكشف إلا بالعلم أيضًا، يعرف الإنسان ربه فيستحي منه، ويعرف حكم الشرع في ذلك فيرتدع، ويعرف مصير المعاند فيمتنع.

ومن آثار الشبهات الوقوع في عذاب الشكِّ والحيرة والاضطراب وهذه لا تكشف أيضًا إلا بالعلم؛ لأنه هو الذي يرسخ اليقين في القلوب، ويقطع دابر الشكوك والأوهام والشبهات، وقد تتدرج الشبهات بالعبد شيئًا فشيئًا حتى تخرجه من الملة والعياذ بالله؛ كما

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (ح: ٢٠٧٥٠) والدارمي (ح: ١٩٩)، وأبو داود في السنة، باب: من دعا إلى السنة (٤٦١١)، والفريابي في صفة المنافق (ح: ٤١) (ص٥٨)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٣٣) والآجري في الشريعة (ح: ٩٠) (١/ ٢٣٨) بإسناد صحيح.

تدرجت بالرافضة؛ فيكون الرجل واقفًا، ثم يصير مفضلًا، ثم يصير سبابًا، ثم يصير غاليًا حتى تنتهي به أن يكون جاحدًا معطلًا[١] زنديقًا.

ومن الضروري أن يبادر المسلم بالتعلُّم في الرخاء قبل وقوع الفتن، حتى يسلم له قلبه ـ عند حلولها ـ من الشكّ والاضطراب.

قال ﷺ: «**بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا**»[٢].

ووسواس الشيطان يغشى القلب كطيف الخيال؛ فينسيه ما كان معه من الإيمان حتى يعمى عن الحق؛ فيقع في الباطل[٣].

ومن النماذج السلفية في الانتفاع بالعلم ووقايته من الوقوع في الفتن ما رواه الإمام البخاري في صحيحه عن أبي بكرة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال: «لقد نفعني الله بكلمة سمعتها من رسول الله ﷺ أيام الجمل، بعدما كدت ألحق بأصحاب الجمل؛ فأقاتل معهم». قال: «لما بلغ رسول الله ﷺ أن أهل فارس قد ملَّكوا عليهم بنت كسرى قال: «**لن يفلح قوم ولَّوْا أمرهم امرأة**»[٤].

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٤٢٨).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: الحث على المبادرة بالأعمال (١١٨). من حديث: أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) مجموع الفتاوى (١٧/ ٥٢٢).

(٤) (ح: ٤٤٢٥).

فليبادر المؤمن إلى العلم والعمل الصالح قبل وقوع الفتن، فساعتها قد لا يتمكن من علم ولا عمل، نسأل الله العافية.

*** المبحث الثالث: إقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله:**

وهذه واجبة على المسلمين في كل زمان ومكان، ولكنها في زمن الفتن آكد، والحاجة إليها أشد، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقال ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[(١)]. فالواجب التواصي بالحق، والتواصي بالصبر، والتعاون معًا على البر والتقوى ومحاربة صنوف البدع وأنواع الفساد عملًا بقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ﴾ [المائدة: ٢]، فالقيام بذلك من أكبر الأسباب المنجية من الفتن، والتقصير فيها من أكبر مسبباتها، كما قال ﷺ: «**إن الله عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة، حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم، وهم قادرون على أن ينكروه، فلا ينكروه، فإن فعلوا ذلك؛ عذَّبَ الله الخاصة والعامة**»[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان (٤٩). من حديث: أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٩٢)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٤٣١) من =

ويعظم الأمر بِحَمَلة العلم، فكلما ازدادوا قومة لله تعالى، ولدينه؛ اندفعت بذلك الفتن، ووقى الله شرها المسلمين.

ومع اهتمام أهل السنة والجماعة بمبدإِ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل الأحوال والأوقات، وتأكيد ذلك في أيام الأزمات، إلا أن تطبيق هذه الشعيرة مضبوط بضابط العلم والعدل؛ لا بالجهل والظلم، فأمرهم بالمعروف إنما يكون بالمعروف، ونهيهم عن المنكر يكون بغير منكر.

ومقتضى ذلك مراعاة المصلحة الشرعية العامة، فلا يؤمر بمعروف يترتب عليه فوات معروف أكبر، ولا ينهى عن منكر يترتب عليه منكر أعظم منه، إعمالًا للقواعد الشرعية الثابتة، والتي منها أن درء المفاسد وتقليلها مقدَّم على جلب المصالح وتكميلها، وعند تزاحم المفاسد تقدم المفسدة الأخف، بناء على مبدإ ارتكاب أخف الضررين لدفع أشدهما، وعند تعارض المصالح تقدم المصلحة الأكبر، وكذلك تقدم المفسدة الأقل عند تعارض المفاسد.

وهذا خلاف ما عليه أهل الأهواء من الخوارج والمعتزلة الذين جعلوا من أصولهم الخمسة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلا أنهم خالفوا أهل السنة والجماعة في وسيلة التغيير والإنكار، فذلك عندهم ولو بالسيف إذا استطاعوا، بناء عليه قرروا جواز الخروج على السلطان الجائر من المسلمين ولو بالسيف إذا استطاعوا، ومقاتلة

= حديث علي بن عَمِيرة الكِنْدي ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ، وحسَّن الحافظ إسناده كما في الفتح (١٣/ ٤).

مخالفيهم، ولو لم يكفروا ولو كان السلطان....![1].

وهذا خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة، من المنع من ذلك؛ لورود النصوص الصريحة الصحيحة في ذلك، ولما يترتب عليه من مفاسد أكبر من المنكر المطلوب إزالته؛ من سفك الدماء، وهتك الحرمات، وتعطيل الشعائر والسبل، وبعث الرعب والخوف بين المسلمين، وما يترتب على ذلك من مفاسد.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله فإنه لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم، فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر»[2].

*** المبحث الرابع: السعي إلى إزالة أسبابها قبل استفحالها، والاجتهاد في الإصلاح فيها وتقليل آثارها عند وقوعها:**

وقد أمر الله تعالى باتقاء الفتنة، وذلك بأن يتخذ المسلمون وقاية بينهم وبين الفتن؛ وذلك بمنع أسبابها، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ ﴾ [الأنفال: ٢٥]. فاتّقاء الفتنة ابتداءً قبل وقوعها ـ ولاسيَّما من أهل الحلّ والعقد (الأمراء والعلماء) ـ

---

(١) ينظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢٠٤)، والملل والنِحل (١/ ١١٥)، والفَرق بين الفِرق (ص٧٣)، ومن كتبهم: مختصر تاريخ الإباضية للباروني (ص٦٨)، والإباضية دراسة مركزة لعلي يحيى معمر الإباضي (ص٤٧).

(٢) إعلام الموقعين (٣/ ٤). وينظر نحوه: منهاج السنة (٤/ ٥٣٦).

ودفعها في بداياتها مطلب شرعي قويم؛ لأنها إذا استشرت صَعُبَ دفعها، وشواهد التاريخ خير مثال. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالفتنة إذا ثارت عجز الحكماء عن إطفاء نارها»(١). وقد قيل: «الفتنة نائمة، لعن الله من أيقظها»(٢).

ومن الأمثلة التطبيقية لِوَأْد الفتنة في مهدها، والقضاء عليها قبل استفحالها؛ بإزالة أسبابها: ما فعله النبي ﷺ من هدم وإزالة مسجد الضرار الذي بناه المنافقون، وإن كان الأمر فيما يظهر هدمًا لبيت من بيوت الله، لكنه سَدٌّ لذريعة الفتنة، ووأد لها في مهدها وقبل استفحالها، وفقه لمقاصد وأغراض المنافقين وأمثالهم، التي هي في ظاهرها خير وصلاح، وفي باطنها السم الزعاف، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًاۢ بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٧-١٠٨].

---

(١) منهاج السنة النبوية (٤/ ٤٦٧) ط. محمد رشاد.

(٢) أخرجه الرافعي في تاريخ قزوين (١/ ٢٩١) وأورده العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ١٠٨) من حديث أنس بن مالك - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وعزاه إلى الرافعي في أماليه، وذكر نحوه عن ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - في الفتن لأبي نعيم. وقال الألباني في الضعيفة (ح: ٣٢٥٨) (٧/ ٢٥٩): «إسناده ضعيف، مظلم بمرة».

وكذلك ما حصل بين المهاجرين والأنصار من شجار حتى قال الأنصاري: يا لَلْأنصار، وقال المهاجري: يا لَلْمهاجرين. فقال النبي ﷺ: «**ما بال دعوى أهل الجاهلية؟!**»(١).

فاستغل المنافق عبد الله بن أُبيّ هذا الحدث؛ فأراد أن يشعل الفتنة وقال كلمته المشهورة: «ليخرجن الأعز منها الأذل...» وخاض الناس في المسألة، قال ابن إسحاق: فسار رسول الله ﷺ بالناس حتى أمسوا، وليلته حتى أصبحوا، وصدر يومه حتى اشتد الضحى، ثم نزل بالناس ليشغلهم عما كان من الحديث، فلم يلبث الناس أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نيامًا(٢). ونزلت سورة «المنافقون»، فالنبي ﷺ سار بهم هذا المسير الطويل ليشغلهم عن هذه الفتنة، وليشتغلوا بأنفسهم فينسوها، وهذا من الحكمة، فالمشروع شَغْلُ الناس بالبدائل التي تشغلهم عن الفتنة سواء كانت شرعية أو مباحة، لتصرفهم عما حرَّم الله.

*** المبحث الخامس: الحذر من كيد الأعداء المتربصين من الداخل والخارج المثيرين الفتن، والمنتهزين لها لتحقيق أطماعهم:**

قَدَّر الله تعالى سنة المدافعة بين الحق والباطل طيلة عمر البشرية، بدءًا بالصراع الذي قدَّره الله تعالى بين أبينا آدم عليه السلام وعدونا إبليس

---

(١) أخرجه البخاري في المناقب، باب: ما ينهى من دعوة الجاهلية (٣٥١٨)، ومسلم في كتاب البر والصلة (٦٥٨٢) (ص١١٣٠) ط. دار السلام. من حديث: جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) سيرة ابن هشام (٣/ ٢٩٢) ودلائل النبوة للبيهقي (٤/ ٥٣). وأخرجه الواقدي في مغازيه (١/ ٤٢١) وابن جرير في تاريخه (٢/ ١٠٩- ١١٠).

اللعين قبل النزول إلى الأرض، ثم استمر، وسيبقى هذا الصراع إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

وأمتنا الإسلامية ليست بدعًا من الأمم، بل كان لها من الكيد والحسد والعداوة من أعدائها ـ بدءًا من بذرتها الأولى على يد نبينا محمد ﷺ، وسيبقى إلى قيام الساعة ـ وهو ما نبهنا إليه القرآن الكريم، وسَطَّره لنا التاريخ، وما نعيشه ساعتنا هذه من المكر الكُبَّار، والكيد الظاهر والباطن، أضحى لا يخفى على متأمِّل.

وفي هذا المقام يجب علينا، ألا يغيب عنا وعد الحق تبارك وتعالى، المؤكد المذكور في الآية نفسها، ووعده الحق، وكان وعد الله مفعولاً، قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج:٤٠]. فنصر الله آت لا محالة، بشرط أن نقوم بنصره تعالى، وهو الغني عنا عز وجل، ولذلك ختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]، فهو قوي لا يغلب، عزيز لا يمانع، ومع ذلك فقد أكدّ سبحانه وتعالى هذا الوعد في الآية الأخرى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد:٧]. وبقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا

يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

والفتن ـ أعاذنا الله منها ـ هي من أكبر أسلحة الأعداء الفتاكة للنيل من هذه الأمة ودينها وعزتها وكرامتها، ولذلك كان الأعداء المتربصون هم أول من استعمل هذا السلاح بإثارتها، وغرس بذورها أو استغلالها واستثمارها بدءًا بسيدهم إبليس اللعين الذي حذرنا الله فتنته بقوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ ﴾ [الأعراف: ٢٧].

ولتحقيق ذلك اجتهدوا في إثارة الفرقة بين المسلمين، وزرعوا عناصر من المنتسبين للإسلام، في داخل الصف، وهم سلاح للعدو الخارجي، ينفذون أوامره، ويحققون أهدافه؛ وذلك بإنشاء بعض الفرق، التي اغتر بها كثير من دهماء المسلمين، وانتسبوا إليها، فكانوا بانتسابهم لها مجندين في خدمتهم، محققين لأطماعهم، وهم لا يشعرون.

أما عداوة الكفار الأصليين من اليهود والنصارى والمشركين وغيرهم فهذه لا تحتاج إلى دليل وقد بيَّن الله تعالى ذلك بيانًا صريحًا فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ [البقرة: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقال تعالى: ﴿ وَإِن كَادُوا

لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ﴾ [الإسراء: ٧٣]، وقد حذَّر الله تعالى نبيه ـ ونحن بالتبع ـ من فتنة يهود خاصة قال تعالى: ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ﴾ [المائدة: ٥]، إلى غير ذلك من النصوص التي يصعب حصرها في مثل هذه العجالة.

أما العدو الداخلي الذي لا يقلّ خطره عن العدو الخارجي، وهم إخوانه ـ بنص القرآن الكريم ـ الذين ينفذون مخططاته ويحققون مطامعه، وإن كانوا تظاهروا بالدخول في الإسلام من الذين يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٨- ٩]. فهم المنافقون الذين يتلوَّنون بكل لون، ويلبسون لكل موقف وحال لبوسه، وكانت عداوتهم للإسلام ونبيه وأهله معلومة للجميع، أنزل الله تعالى فيهم «الفاضحة» التي فضحت ما كانوا يسرّونه في أنفسهم، وسميت سورة في القرآن باسمهم كشفًا وتحذيرًا وفضحًا وتشهيرًا.

وكيدهم للإسلام وأهله مستمر حتى عصرنا الحاضر، حين ظهروا بمسميات جديدة كالعلمانية واللبرالية والتنويرية والحداثة وغيرها من التسميات.

وسلاحهم الأول في حرب الدين وأهله؛ هو إثارة الفتن والقلاقل بين المسلمين، وتفريق صفهم، وجعلهم أحزابًا وطرائق قددًا؛ ليحصل للعدو الخارجي القضاء عليهم، واستضعافهم والنيل منهم.

قال الله تعالى: ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [التوبة: ٤٧- ٤٩].

وعلاقتهم بالعدو الخارجي ـ إخوانهم ـ لا تحتاج إلى دليل، فهم سفراؤه في بلاد المسلمين؛ يطالبون بمطالبه، وينادون بتغيير بنية المجتمع وثقافته وتغريبه، وبما يملي عليهم العدو، بل يقومون بتحريض العدو الخارجي على بلادهم، ويستعينون به، ويكشفون عورات المسلمين له، وعلاقاتهم بسفارات تلك الدول أصبحت غير خافية.

ومن هذه الدسائس الخَطِرة في المجتمع المسلم الفرق الضالة ومن أخطرها:

١ ـ الرافضة: وهم البذرة الفاسدة التي زرعتها اليهود على يد عبد الله بن سبأ اليهودي، في داخل الصف المسلم، وهم وراء أغلب الفتن التي وقعت على المسلمين والحروب الطاحنة بينهم، وكانوا المحرض الأول لآل البيت على الخروج على ولاة عصرهم بالسيف، ثم يخذلونهم في كل مرة، وعلى أكتافهم ظهرت القرامطة والباطنية، وبمعونتهم غزا التتار والصليبيون بلاد المسلمين، وما زال هذا دَيْدَنهم إلى اليوم في مواقفهم وتعاونهم مع أعداء المسلمين ـ الصليبين واليهود ـ في العراق وأفغانستان، وسائر الفتن في بلاد المسلمين. ومن آخرها

إثارة الفتن في الحج وبلاد الحرمين الشريفين والخليج واليمن ولبنان وغيرها من أقطار المسلمين.

وقد انحاز إليهم إبان ظهورهم بعض الجهلة وأهل المطامع والأهواء، والموتورين من الأعاجم وخاصة (الفرس) من مجوس وغيرهم من الحاقدين على الإسلام وأهله، فكان دينهم قائمًا على الكراهية والحقد على الإسلام وأهله، ممثلًا في الرعيل الأول؛ من الخلفاء الثلاثة الراشدين، وأمهات المؤمنين، وسائر الصحابة والتابعين، وعلماء الأمة سلفًا وخلفًا، فيسارعون إلى كل فتنة متى سنحت لهم الفرصة بغية هدم الإسلام والقضاء عليه، إضافة إلى إضمار عقائد ومبادئ تغاير ما عليه المسلمون، فيسعون إلى إقامة حكم ودين آل ساسان المجوس على أنقاض دين الحنفاء الموحدين ـ ويأبى الله تعالى إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ـ وهذا مما يجعلهم يشعرون بالعزلة ويلجؤون إلى التلوُّن والنفاق والتقيَّة، ومِنْ ثمَّ تنامى الحقد والمفاصلة في نفوسهم لسائر المسلمين.

٢ ـ الخوارج: وهم الذين خرجوا على المسلمين وإمامهم الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ فكفروه وقاتلوه حتى قتلوه شهيدًا ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ، ثم كانت حروبهم وفتنتهم طيلة تاريخ المسلمين حتى كان من أواخرهم أو ممن تأثر بأفكارهم وتشبَّه بهم في بعض الجوانب من أهل الغلو في عصرنا الحديث ممن يرى الخروج على الولاة بغير مسوّغ شرعي وتكفير العلماء وسائر المسلمين، وما حصل من بعضهم من تفجير وتدمير وقتل في بلاد المسلمين ليس بخافٍ.

٣ ـ **سائر أهل الأهواء والبدع** من القدرية والجهمية وغلاة الصوفية وغيرهم الذين يفتنون الناس في دينهم ويصدونهم عن سبيل الله، ويزينون لهم الباطل ويكرِّهون إليهم الحق، ويحولون بينهم وبين دين الله الحق بما يظهرون من الشبه وزخرف القول، إضافة إلى مواقفهم السلبية من الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونشر السنة، والعمل بها، والدعوة إليها.

٤ ـ **الغوغائية والغثائية من الرَّعَاع**، وغيرهم من الدهماء الذين هم مادة الفتن ووقودها الذين يستخفّهم المجرمون، ويستغلون جهلهم بالدين وعصبيتهم، وقلة عقولهم وجفائهم، ونفرتهم من أهل العلم والعقل والفضل، وحدّة طباعهم وغلظتهم، وأكثر الخوارج من هذا الصنف، وقد استغلهم الحاقدون، وحرضوهم على قتل الخليفة الراشد عثمان بن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهم رأس في الفتن في كل زمان ومكان، وأتباع كل ناعق، يُسيِّرهم الأعداء المغرضون بوسائلهم المختلفة لتحقيق مآربهم وأهدافهم.

وعلى كل فأغلب من ذكر آنفًا يجمعهم على اختلاف أسمائهم واتجاهاتهم وصمة الجهل في عوامهم والنفاق في رؤوسهم، اللذان هما مادة الفتن ومموِّلها ومشعل نارها.

ومن أهم سبل النجاة من الفتن الحذر من هذه الفئات الضالة، والفرق المارقة وأخذ الحَيْطَة منهم، وعدم تمكينهم من الولايات العامة، ومصادر التأثير في المجتمع لقطع دابر الفتنة وتجفيف منابعها ووسائل انتشارها. والله المستعان.

صفحة بيضاء

الفصل الثالث

المخـــــرج منها عند وقوعها

* **المبحث الأول: العودة الصادقة إلى الله تعالى**؛ بتحقيق التوحيد الخالص، والاستجابة التامة لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ، والتوبة النصوح من جميع الذنوب؛ لأنها سبب الفتن ـ كما تقدم ـ، واللجوء إليه تعالى وحده وحُسن التوكل عليه، وتعليق القلوب به وحده دون سواه، والتضرع والانكسار بين يديه، والإلحاح في الدعاء هو سبيل النجاة، قال الله تعالى: ﴿**فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾ [الأنعام: ٤٣]، أي: «فهلا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا، فحقهم عند مجيء البأس التضرع»[(١)]. وقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ**﴾ [المؤمنون: ٧٦]، وروي عن النبي ﷺ من حديث أبي واقد الليثي ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أن النبي ﷺ قال: «**إنها ستكون فتنة**» فقالوا: فكيف لنا يا رسول الله؟ وكيف نصنع؟ قال: «**ترجعون إلى أمركم الأول**»[(٢)]. قال الحسن: «إذا أصاب

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ١٦٣).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (ح: ٣٣٠٧) والأوسط (ح: ٨٦٧٩). قال الهيثمي في المجمع (٧/ ٣٠٣): «فيه عبد الله بن صالح وقد وثّق وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح». وتابعه يحيى بن عبد الله بن بكير عند الطبراني نفسه في الكبير (٦٩) (٢٠/ ٤٣) وعند الطحاوي في مشكل الآثار (٢/ ٦٨- ٦٩).

الناس من قبل الشيطان بلاء؛ فإنما هي نقمة، فلا تستقبلوا نقمة الله بالحَمِيَّة، ولكن استقبلوها بالاستغفار وتضرعوا إلى الله»[١] وقرأ هذه الآية. وقال ابن عباس وعلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ: «ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة»[٢]. وقال علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «لا يرجوّن عبد إلا ربه، ولا يخافن عبد إلا ذنبه»[٣].

*** المبحث الثاني: الإكثار من العبادة والعمل الصالح:**

ومع التوبة والاستغفار، والتحلل من الذنوب والخطايا، ورد المظالم واستيفاء الحقوق، فإن على المؤمن مع ذلك الإكثار من نوافل الطاعات والقربات بعد الفرائض والواجبات. فإنه في آخر الزمان وفي عصر الفتن يقلّ العمل.

والأصل في ذلك حديث: معقل بن يسار[٤]، عن النبي ﷺ قال: «**العبادة في الهَرْج كهجرة إلي**»[٥].

وقد فسَّر النبي ﷺ الهرج بالقتل، كما في حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٤٥).

(٢) ينظر: جامع المسائل لابن تيمية (المجموعة الأولى)، (ص١٦٩)، وطريق الهجرتين، (ص٤١٥). وروي عن عمر بن عبد العزيز كما في مجموع الفتاوى (٨/ ١٦٣). ولم أقف عليه مع شهرته عند المتقدمين.

(٣) أخرجه محمد بن يحيى العدني في كتابه «الإيمان» (ح: ١٩) (ص٨٥). وينظر: شرح شيخ الإسلام لهذه الكلمة في مجموع الفتاوى (٨/ ١٦١ – ١٨٠).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: فضل العبادة في الهرج (٢٩٤٨).

(٥) كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: فضل العبادة في الهرج (٢٩٤٨).

عن النبي ﷺ قال: «**يتقارب الزمان، وينقص العمل، ويلقى الشحّ، وتظهر الفتن، ويكر الهرج**». قالوا: يا رسول الله، أيما هو؟ قال: «**القتل، القتل**»[(١)]. ويلحق بالقتل دواعيه القولية والفعلية.

قال النووي: «المراد بالهرج هنا: الفتنة واختلاط أمور الناس، وسبب فضل كثرة العبادة فيه: أن الناس يغفلون عنها، ويشتغلون عنها، ولا يتفرغ لها إلا الأفراد»[(٢)].

وقال الحافظ ابن رجب ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وسبب ذلك أن الناس في زمن الفتن يتبعون أهواءهم، ولا يرجعون إلى دين، فيكون حالهم شبيهًا بحال الجاهلية، فإذا انفرد من بينهم من يتمسك بدينه ويعبد ربه، ويتبع مراضيه ويجتنب مساخطه كان بمنزلة مَن هاجر مِن بين أهل الجاهلية إلى رسول الله ﷺ مؤمنًا به، متبعًا لأوامره مجتنبًا نواهيه...»[(٣)].

وفي اشتداد المحن شرع الاجتهاد في العبادة، قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]، وقال عز اسمه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

وقد فُرض على النبي ﷺ، وعلى المؤمنين أول الأمر قيام الليل، قال

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب ظهور الفتن (ح: ٧٠٦١)، ومسلم في كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه (٤/ ٢٠٥٧) (ح: ٦٩٦٤).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ٨٨).

(٣) لطائف المعارف (ص١٤٧).

تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ١-٤]، وذلك ليتأهل لتحمل تبعات الرسالة الثقيلة: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥]، فيحتاج إلى قوة إيمانية لا تتأتى إلا بكثرة العبادة، وكذلك ورثة الأنبياء فلابد لهم من زاد خاص يفوق أزواد الآخرين ليكونوا أهلًا لتحمل الميراث النبوي والقيام به على الوجه الذي يرضي الله تبارك وتعالى.

وفي الفتن يحتاج المؤمن إلى هذا الزاد الإيماني؛ ليحصل له الثبات والبصيرة.

وارتباط الأمر التعبدي بنزول الفتن ثابت في التوجيه النبوي، فهذا رسول الله ﷺ يستيقظ فزعًا من الليل فيقول: «**سبحان الله! ماذا أنزل الله من الخزائن! وماذا أنزل من الفتن! من يوقظ صواحب الحجرات** ــ يريد أزواجه لكي يصلين ــ **رُبَّ كاسية في الدنيا، عارية في الآخرة**»(١).

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «وفي الحديث: استحباب الإسراع إلى الصلاة عند خشية الشرّ كما قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾، وكان ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، وأمر من رأى في منامه ما يكره أن يصلي...»(٢)، وقال: «وفي الحديث: الندب إلى الدعاء والتضرع عند نزول الفتنة، ولاسيما في الليل؛ لرجاء وقت الإجابة،

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب: ظهور الفتن (٧٠٦٩). من حديث: أم سلمة رضي الله عنها.

(٢) فتح الباري (١/ ٢١١).

لتكشف أو يسلم الداعي، ومن دعا له»[١].

وكان هذا ديدنه ﷺ: فليلة بدر، وما أدراك ما ليلة بدر! نام الصحابة رضوان الله تعالى عليهم «إلا رسول الله ﷺ تحت شجرة يصلي، ويبكي حتى أصبح»[٢].

وفي يوم الخندق: حينما بلغت القلوب الحناجر، وخرجت العيون من المحاجر، يرسل رسول الله ﷺ حذيفة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ يستطلع خبر القوم، فيرجع حذيفة، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي[٣].

ولما كسفت الشمس فزع ﷺ إلى الصلاة وقال: «**فإذا رأيتموهما فافزعوا إلى الصلاة**»[٤]، بل كان ـ ﷺ ـ يفتتح صلاته إذا قام من الليل بالدعاء المشهور: «**اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**»[٥].

فالاختلاف في الحق من أعظم الفتن، والاهتداء إليه عند اختلاف الناس فيه من أعظم المنن. ولذلك كان ﷺ يفتتح صلاة الليل بهذا

---

(١) المصدر السابق (١٣/ ٢٣).

(٢) أخرجه أحمد (١٠٢٣) وابن خزيمة في صحيحه (٨٩٩) (٢/ ٥٢- ٥٣) وابن حبان (١/ ٤٠٩)، وينظر: السيرة لابن كثير (٢/ ٢٩٢).

(٣) أخرجه البزار (٧/ ٣١٧)، وأصله في مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب: غزوة الأحزاب (١٧٨٨).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الكسوف (ح: ١٠٤٧)

(٥) أخرجه مسلم (١٨٤٧) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

الدعاء العظيم كما قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، دلالة على أهميته، مع أنه المعصوم ﷺ الذي لا يقول إلا الحق. إلى غير ذلك من أحواله ﷺ عند الشدائد امتثالًا لأمر ربه تبارك وتعالى القائل: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]. فالمؤمن هو الذي يجمع بين العبادة والاستعانة تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فهناك مَن يعبد الله ولا يستعينه، ومنهم من يستعينه تعالى ولا يعبده، وشر الأقسام هو مَن لا يعبده تعالى ولا يستعينه[1].

كما كان هذا ديدن صحابته ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ

---

(١) ينظر مجموع الفتاوى (١١/ ٣١) وهذه أقسام الناس فيما يكون قبل المقدور من توكل واستعانة ونحو ذلك، أما بعد المقدور فهم في التقوى ـ وهي طاعة الأمر الديني ـ والصبر على ما يقدره الله من القدر الكوني أربعة أقسام:

أحدها: أهل التقوى والصبر، وهم الذين أنعم الله عليهم، أهل السعادة في الدنيا والآخرة.

والثاني: الذين لهم نوع تقوى بلا صبر، مثل الذي يمتثلون ما عليهم من الصلاة ونحوها، ويتركون المحرمات، لكن إذا أصيب أحدهم في بدنه بمرض أو نحوه أو مال أو في عرضه، أو ابتلي بعدو يخيفه، عَظم جزعه، وظهر هلعه.

الثالث: قوم لهم نوع صبر بلا تقوى، مثل الفجار الذين يصبرون على ما يصيبهم كاللصوص، والقطاع الذين يصبرون على الآلام في مثل ما يطلبونه من الغصب وأخذ الحرام.

وأما القسم الرابع فهم شر الأقسام الذين لا يتقون إذا قدروا ولا يصبرون إذا ابتلوا، بل هم كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ١٩- ٢١]، فهؤلاء تجدهم من أظلم الناس وأجدهم إذا قدروا، ومن أذل الناس وأجزعهم إذا قهروا...» مجموع الفتاوى (١١/ ٣١- ٣٣).

وأتباعهم[١]، فعند اشتداد الفتن والمحن، يؤكدون اللجأ إلى الله تبارك وتعالى، مستصحبين قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ [الفرقان: ٧٧]، أي: لولا عبادتكم وطاعتكم إياه. قال ابن عباس ومجاهد. وقيل: لولا دعاؤكم إياه في الشدائد[٢]. وقول النبي ﷺ: «**تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة**»[٣].

والتاريخ حافل بالصور المشرقة، لتحقيق هذا المبدأ العظيم، فهذا قتيبة بن مسلم الباهلي القائد المظفر[٤]، يسأل عن محمد بن واسع[٥] ـ رحمه الله ـ يوم قتال الترك، فقيل له: «هو ذاك في الميمنة جَانِحٍ على سِيَةِ قوسه، يُنَضْنِضُ[٦] بأُصْبُعِهِ نحو السماء، فقال قتيبة: تلك الأُصبع الفاردة،

---

(١) وقد ذكر فضيلة د. محمد بن عبد الوهاب العقيل، نماذج كثيرة من مواقف الصحابة والسلف من الفتن في كتابه الموسوم بـ: (الفتن وموقف المسلم منها) (ص١١٩-٢١٣) فليراجعه من شاء الاستزادة.

(٢) تفسير البغوي (٣/ ٣٤٩).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٣٠٧) واللفظ له، والترمذي في صفة القيامة (٢٥١٦)، والبيهقي في الشعب (١٠٧٤). من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
قال الترمذي :حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٦١).

(٤) هو: قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حُصَيْن بن ربيعة البَاهِلِيُّ، الأمير، أبو حفص، قال الذهبي في السير (٤/ ٤١٠): «أحد الأبطال والشُّجْعَان، ومن ذوي الحَزْمِ وَالدَّهَاءِ، وَالرَّأْيِ وَالغَنَاءِ. مات سنة سبع عشرة ومائتين».

(٥) هو: أبو بكر، محمد بن واسع بن جابر بن الأخنس الأزدي البصري. قال الذهبي في السير (٦/ ١١٩): «الإمام الرباني القدوة، أحد الأعلام. توفي سنة ثلاث وعشرين ومائة».

(٦) أي: يحركها، ويروى بالصاد. ينظر: النهاية (٥/ ٧٢) وسِيَةِ قوسه: ما عطف من =

أحب إليَّ من مائة ألف سيف شهير، وسنان طَرِير[1]، فلما فتح الله عليهم قال لمحمد: ماذا كنت تصنع؟ قال: كنت آخذ لك بمجامع الطرق»[2].

فالدعاء من أقوى الأسلحة المؤثرة، إذا خرج من قلب مؤمن بوعد الله تعالى صادق في لجوئه إلى ربه تعالى. وقد قال ﷺ: «**إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها؛ بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم**»[3]. قال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ...﴾ [التوبة: ٩١]، وهذا السلاح ليس مقصورًا على الضعفاء فقط، لكنه السلاح الذي لا يعذر فيه أحد، ثم إن الضعفاء ربّما يغفل عنهم ويحتقر ما يقدِّمون في هذه المواطن فجاء هذا التوجيه لافتًا الأنظار إلى هذه الفئة من المسلمين للاستعانة بهم، وأن لهم دورهم الذي لا يستهان به، كما أن عليهم من المسؤولية والمشاركة بقدر طاقتهم وقدرتهم ما يشاركون فيه غيرهم من المسلمين. وبهذا تتحقق مسؤولية الجميع، ولا يبقى هناك عاطل أو مُهْمَل لا أثر له في الجهاد.

= طرفيها (٢/ ٤٣٥).

(١) أي: صقيل. وفي بعض الروايات: «شاب طرير». قال ابن دريد في جمهرة اللغة، مادة: (ر ط ط)، (١/ ١٢٢) «يقال: شاب طرير، أي: في مستقبل الشباب، والجمع أطرار».

(٢) أخرجه ابن قتيبة في عيون الأخبار (١/ ١٢٣) والدِّينَوَري في المجالسة وجواهر العلم (٥/ ٢١) (١٨١١). وينظر: سير أعلام النبلاء (٦/ ١٢١).

(٣) أخرجه النسائي في الجهاد، باب: الاستنصار بالضعيف (٣١٧٨) واللفظ له، وأصله في البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب: من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب (٢٨٩٦). من حديث: سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* المبحث الثالث: لزوم جماعة المسلمين وإمامهم:

كما قال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران:١٠٣]؛ لأن يد الله على الجماعة[(١)]، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية[(٢)]، ولا تجتمع أمة محمد ﷺ على ضلالة[(٣)].

والأصل في ذلك: حديث حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ ـ فقيه الفتن ـ قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر؛ مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «**نعم**». قلت: وهل بعد هذا الشر من خير؟ قال: «**نعم، وفيه دخن**». قلت: وما دخنه؟ قال: «**قوم يهتدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر**». قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «**نعم، دعاة إلى أبواب جهنم، من أجابهم قذفوه فيها**»، قلت: يا رسول الله، صفهم لنا؟ قال: «**هم من جلدتنا، ويتكلمون**

---

(١) جزء من حديث أخرجه النسائي في كتاب تحريم الدم، باب: قتل من فارق الجماعة (٤٠٢٠)، والطبراني في الكبير (١٢/ ٨٠)، من حديث: عرفجة بن شُريح الأشجعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ. وصححه الألباني في صحيح النسائي (٣٧٥٣).

(٢) جزء من حديث أخرجه أبو داود في الصلاة، باب: التشديد في ترك الجماعة (٥٤٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢١١)، من حديث: أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٥١١).

(٣) جاء من حديث: ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا: أن رسول الله ﷺ، قال: «**إن الله لا يجمع أمتي ـ أو قال: أمة محمد ﷺ ـ على ضلالة**». أخرجه الترمذي في الفتن، باب: ما جاء في لزوم الجماعة (٢١٦٧)، والحاكم في المستدرك (١/ ١١٦). وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٧٥٩).

بألسنتنا». قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**». قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تَعَضَّ بأصل شجرة، حتى يُدركك الموت وأنت على ذلك**»[١].

فبيَّن ﷺ الموقف في حالة وجود جماعة للمسلمين وإمام، وفي حالة عدم وجود جماعة للمسلمين وإمام.

ففي حال وجود الجماعة والإمام فعليه بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم.

وفي حال وجود الجماعة وليس لهم إمام فعليه بلزوم جماعتهم، وعليهم بالمبادرة بنصب الإمام؛ لأن الفتنة إذا لم يكن إمام يقوم بأمر الناس» كما قال الإمام أحمد[٢] ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ ولهذا بادر الصحابة ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ بنصب إمام لهم بعد وفاة النبي ﷺ وبمبايعة أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قبل تجهيز النبي ﷺ ودفنه مخافة الفتنة وانفراط عقد الجماعة، أما إذا كان يتعذر نصب الإمام كحال الأقليات الإسلامية في البلدان الكافرة، فعليه بجماعتهم الذين هم علماؤهم ودعاتهم وأهل الرأي فيهم إذا كانوا معروفين، ولهم ظهور وإن كان ضعيفًا.

أما في حال عدم وجود جماعة للمسلمين ولا إمام فعليه باعتزال

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام (٣٦٠٦)، واللفظ له، ومسلم في كتاب الإمارة، باب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين (١٨٤٧).

(٢) أخرجه الخلال في السنة (١/ ٨١).

تلك الفرق كلها، والاهتمام بخاصة نفسه، ومَن يمكنه من إخوانه المسلمين تعليمًا ودعوة ولو سرًّا، كما فعل النبي ﷺ وأصحابه أول البعثة حتى يجعل الله لهم فَرَجًا ومخرجًا.

ومن التطبيق العملي للزوم الجماعة والإمام، وإن خالف في بعض ما يراه المرء خطأً: ما حصل من عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في منى بعد أن أتمَّ عثمان الصلاة، فقال عبد الله بن مسعود: كان رسول الله ﷺ يصلي في منى ركعتين، فقيل له: تقول هذا وأنت تصلي مع عثمان أربعًا، قال: يا هذا، الخلاف شر[١].

ولذلك فإن فعل المفضول لمصلحة شرعية راجحة أولى من فعل الفاضل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ويسوغ أيضًا أن يترك الإنسان الأفضل لتأليف القلوب واجتماع الكلمة خوفًا من التنفير عما يصلح»[٢]، وقال: «إن المفضول قد يصير فاضلًا لمصلحة راجحة، وإذا كان المحرَّم كأكل الميتة قد يصير واجبًا للمصلحة الراجحة ودفع الضرر؛ فلأن يصير المفضول فاضلًا لمصلحة راجحة أولى»[٣].

ومع هذا فالجماعة ليست دائمًا هي الكثرة، ولكن من كان على قول الجماعة قبل أن تختلف وهو قول أهل السنة والجماعة.

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب المناسك، باب: الصلاة بمنى (١٩٦٠). وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٧٢٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٤٣٦). وينظر (٢٢/ ٤٠٧).

(٣) المصدر نفسه (٢٢/ ٣٤٥).

قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، قال عبد الله بن مسعود ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ: «لو أن فقيهًا على رأس جبل كان هو الجماعة»[١].

وقد بَوَّبَ البخاري في صحيحه في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، قال: «باب قول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. وما أمر النبي ﷺ بلزوم الجماعة، وهم أهل العلم»[٢]. وقال الترمذي: «وتفسير الجماعة عند أهل العلم: هم أهل الفقه والعلم والحديث»[٣]. وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الجماعة ما وافق طاعة الله وإن كنت وحدك»[٤].

قال الشافعي: «إن معنى لزوم الجماعة ليس باجتماع الأبدان؛ لأنه لا يصنع شيئًا، ولكن المعنى لزوم ما عليهم من التحليل والتحريم والطاعة فيهما»[٥].

وقال أبو شامة: «وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد لزوم الحق

---

(١) الفقيه والمتفقه (٢/ ٤٤) (ح: ١١٤٦).

(٢) صحيح البخاري، (ص١٢٦٣)، ط. دار السلام.

(٣) سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب: ما جاء في لزوم الجماعة (٢١٦٧).

(٤) أخرجه اللالكائي عنه في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٠٩). وينظر: الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص٢٢).

(٥) الرسالة (ص٤٧٥).

واتباعه، وإن كان المتمسك بالحق قليلًا، والمخالف كثيرًا»[١].

وقال ابن القيم: «وقد شذ الناس كلهم زمن أحمد بن حنبل إلا نفرًا يسيرًا، فكانوا هم الجماعة وكانت القضاة والمفتون والخليفة وأتباعهم كلهم الشَّاذِّين، وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة»[٢].

ولذلك كانت وصية أبي مسعود البدري ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ كما روى يُسَير[٣] بن عمرو قال: شيعنا ابن مسعود حين خرج؛ فنزلنا في طريق القادسية، قال: فدخل بستانًا فقضى حاجته ثم توضأ ومسح على جوربيه ثم خرج وإن الماء ليقطر من لحيته، فقلنا له: اعهد إلينا؛ فإن الناس قد وقعوا في الفتن، ولا ندري هل نلقاك أو لا؟! قال: «اتقوا الله واصبروا حتى يستريح بر، أو يستراح من فاجر، وعليكم بالجماعة؛ فإن الله لا يجمع أمة محمد على ضلالة»[٤].

---

(١) الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص٢٢).

(٢) إعلام الموقعين (٣/ ٣٩٧).

(٣) تصحف هذا الاسم عند بعضهم إلى «بشير»، وقد أتى مصححًا في المعرفة والتاريخ للفسوي (٣/ ٢٤٥) وطبعة مصنف ابن أبي شيبة الجديدة (ح: ٣٨٣٤٧) ومعجم الطبراني الكبير (ح: ١٤٠٩٢) وغيرها. ويظهر هذا بمراجعة ترجمة تلميذه: المسيب بن رافع في تهذيب الكمال (٢٧/ ٥٨٦).

(٤) أخرجه الفسوي في المعرفة والتاريخ (٣/ ٢٤٥) والبخاري في التاريخ الصغير (١/ ١١٤) والطبراني في الكبير (١٤٠٩٢) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٠٩).

وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٨/ ٦٠٤) عن ابن مسعود، وفي الطبعة الجديدة بتحقيق محمد عوامة: عن أبي مسعود البدري (ح: ٣٨٣٤٧)، وقد نبَّه محققه أن ذكر (ابن مسعود) تصحيف.

ومع تأكيد أهل السنة والجماعة، وسلفهم الصالح، على مبدأ السمع والطاعة لولاة أمر المسلمين في غير معصية، وعدم جواز الخروج عليهم بالسيف وإن جاروا؛ للنصوص الشرعية الكثيرة الواردة في ذلك، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، ولقوله ﷺ لأبي هريرة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ: «**عليك السَّمْعَ والطَّاعةَ في عُسْرِك ويُسْرِك، ومَنْشطك ومَكْرهك، وأَثَرَةٍ عليك**»[١]. ومعنى: «وأثرة عليك» ـ وفي رواية: «وأثرة علينا»[٢] ـ أي: وإن استأثر ولاة الأمور عليك، فلم ينصفوك ولم يعطوك حقك[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيتفق أن بعض الولاة يظلم؛ فلا تصبر النفوس على ظلمه، ولا يمكنها دفع ظلمه إلا بما هو أعظم فسادًا منه، ولكن لأجل محبة الإنسان لأخذ حقه ودفع الظلم عنه لا ينظر في الفساد العام الذي يتولد عن فعله، ولهذا قال النبي ﷺ: «**إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض**» [رواه البخاري]...» إلى أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فقد أمر النبي ﷺ المسلمين بأن

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (١٨٣٦).

(٢) أخرجها البخاري في كتاب الفتن، باب: قول النبي ﷺ: «**سترون بعدي أمورًا تُنكرونها**» (٧٠٥٦)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (١٧٠٩). من حديث: عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٨).

يصبروا على الاستئثار عليهم، وأن يطيعوا ولاة أمورهم، وإن استأثروا عليهم وألا ينازعوهم الأمر. وكثير ممن خرج على ولاة الأمور أو أكثرهم إنما خرج لينازعهم مع استئثارهم عليه، ولم يصبروا على الاستئثار، ثم إنه يكون لولي الأمر ذنوب أخرى فيبقى بغضه لاستثاره يعظم تلك السيئات، ويبقى المقاتل له ظانًا أنه يقاتله لئلا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، ومن أعظم ما حرَّكه عليه طلب غرضه إما ولاية وإما مال...»(١).

إلا أن هذا لا يعني إقرارهم المنكر، ولا مداهنتهم الظلمة، ولا السكوت عن قولة الحق، ولا التخاذل عن الإصلاح الحقيقي، ولا ترك النصح لهم وإن كرهوه، بل ذلك لا يمنع من ذلك كله، إذا كان بالوسائل الشرعية المعروفة، ولذا جاء في حديث عبادة بن الصامت ـ المشهور، والمتقدم الصريح في السمع والطاعة، في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى الأثرة، جاء في آخره ـ: «**وعلى أن نقول الحق أينما كنا، لا نخشى في الله لومة لائم**»(٢).

بل إن النصوص الشرعية، جاءت مصرحة بأن الطاعة في المعروف، وهذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ**﴾ [الممتحنة: ١٢]، ومفهومه: أنه لا طاعة في غير معروف، مع أن النبي ﷺ

---

(١) منهاج السنة (٤/ ٥٣٨- ٥٤١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب: كيف يبايع الإمام (٧٢٠٠)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (١٧٠٩). واللفظ له.

لا يأمر إلا بالمعروف، ولكنه التنبيه لأمته من بعده[١]، وهو ما جاء مصرحًا به في العديد من النصوص؛ كقوله ﷺ لعبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**ليس - يا ابن أم عبد - طاعة لمن عصى الله**»[٢]. وقال: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الله**»[٣] ونحوها.

بل جاء الثناء على من قال كلمة الحق أمام السلطان الجائر، وعُدّ سيدًا في الشهداء، وقوله من أعظم الجهاد، فقال ﷺ: «**سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله**»[٤]، وقوله ﷺ: «**إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر**»[٥].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٨/ ٨٠) وابن كثير (٨/ ١٢٧) وفتح القدير (٥/ ٢١٦) ومحاسن التأويل (١٦/ ١٣٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه في الجهاد، باب: لا طاعة في معصية الله (٢٨٦٥)، وأحمد (١/ ٣٩٩) واللفظ له. والطبراني في الكبير (١٠٣٦١). وصححه الألباني في الصحيحة (٢٨٦٤).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٦٦)، والطبراني في الكبير (١٣/ ٥٤)، وقواه ابن حجر في الفتح (١٣/ ١٠٩). من حديث عمران بن حصين - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -. وصححه الألباني في الصحيحة (١٧٩) و(١٨٠) و(٥٩٠).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢١٥)، وصححه، وردَّه الذهبي، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ورواه الطبراني في الأوسط (٤٠٧٩)، من حديث: ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٦٦): «وفيه ضعيف»، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٧٤).

(٥) أخرجه الترمذي في الفتن، باب: أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر (٢١٧٤) واللفظ له، وأحمد (٣/ ١٩). من حديث: أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الترمذي: «حديث حسن غريب من هذا الوجه».
وأخرجه أحمد (٤/ ٣١٤ و٣١٥) والنسائي (٧/ ١٦١) من طريق طارق بن شهاب وإسناده صحيح. وعن أبي إمامه عند أحمد (٥/ ٢٥١ و٢٥٦) وابن ماجه (٤٠١٣) =

قال الخطابي معلقًا على هذا الحديث: «إنما كان هذا أفضل الجهاد؛ لأن من جاهد العدو كان على أمل الظَّفَر بعدوه، ولا يتيقن العجز عنه، لأنه لا يعلم يقينًا أنه مغلوب، وهذا يعلم أن يد سلطانه أقوى من يده، فصارت المثوبة فيه على قدر المؤونة. قال أبو سليمان ـ هو الخطابي ـ: ليت شعري من يدخل إليهم اليوم فلا يصدِّقُهم على كذبهم، ومن الذي يتكلّم بالعدل إذا شهد مجالسهم، ومن الذي ينصح، ومن الذي ينتصح منهم. إنّ أسلم لك يا أخي في هذا الزمان وأحوط لدينك أن تُقِلَّ من مخالطتهم وغشيان أبوابهم، ونسأل الله الغنى عنهم، والتوفيق لهم»[1].

ولهذا حذَّر ـ ﷺ ـ من كثرة الدخول على السلاطين، لغير مصلحة شرعية، فقال ﷺ: «**من سكن البادية جفا**[2]**، ومن اتبع الصيد غَفَلَ،**

= وورد عن جابر بن عبد الله، وسمرة بن جندب، وعمير بن قتادة الليثي، وصححه المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٥٨)، والنووي في رياض الصالحين (ص٦٩). وذكره الألباني في الصحيحة (٤٩١).

(١) العزلة (ح: ٢٢٥).

(٢) وقد جاءت الرّخصة في الخروج إلى البَرِّية أحيانًا؛ ففي سنن أبي داود (ح: ٢٤٧٨) عن المقدام بن شريح، عن أبيه أنه سأل عائشة: هل كان النبي ﷺ يبدو؟ فقالت: نعم، إلى هذه التلاع، ولقد بدا مرّة فأتى بناقة محرَّمة، فقال: «اركبيها يا عائشة وارفقي فإن الرفق ما كان في شيء إلا زانه، ولا نزع منه إلا شانه». وشطر الحديث الآخر في مسلم.
قال الحافظ ابن رجب: «فأما الخروج إلى البادية أحيانًا للتنزه ونحوه في أوقات الربيع وما أشبهه فقد ورد فيه رخصة» فتح الباري (١/ ١٢٧). وجاء التحديد في مراسيل أبي داود (ح: ٣٠٧) من رواية مُعمر، عن موسى بن شيبة قال: قال رسول الله ﷺ: «من بدا أكثر من شهرين فهي أعرابية».

ومن أتى السلطان افْتُتِن»[(١)].

هذا وقد جاء الجمع بين النصح لولي أمر المسلمين مع لزوم جماعتهم مشعرًا بأن هذا النصح يجب ألا يترتب عليه ما يؤدي إلى مفارقة الجماعة أو تفريق جماعتهم، فقال ﷺ: «**ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصح لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم**»[(٢)].

والمعنى أن هذه الخلال الثلاث تستصلح بها القلوب، فمن تمسك بها طهر قلبه من الخيانة والدغل والشر[(٣)].

وجاء في حديث أبي هريرة: «**إن الله يرضى لكم ثلاثًا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا وأن**

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصيد، باب: في اتباع الصيد (٢٨٥٩)، والترمذي في الفتن، باب:من أتى أبواب السلطان افتتن (٢٢٥٦)، والنسائي في الصيد والذبائح، باب: اتباع الصيد (٤٣٠٩)، وأحمد في المسند (١/ ٣٥٧). من حديث: ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا. وصححه الألباني في الصحيحة (١٢٧٢).

ورواه أبو داود وأحمد عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ وفيه: «ومَن لزم السلطان افتتن، وما ازداد عبد من السلطان دنوًا إلا ازداد من الله بعدًا». وقد أعلّه بالاضطراب الشيخ الأرناؤوط في تحقيقه على المسند (١٤/ ٤٣٠).

(٢) الحديث رواه ابن مسعود وزيد بن ثابت وغيرهما، ورواية زيد خرَّجها ابن ماجه في مقدمته (ح: ٢٣٠) (١/ ٨٤) وأحمد في المسند (٥/ ١٨٣)، وابن حبان في صحيحه (الإحسان ح: ٦٧٩) وصحح إسناده أيضًا الحافظ ابن حجر (اتحاف السادة ٨/ ٤٦٣)، والألباني في ظلال الجنة (١/ ٤٥).

(٣) ينظر: الفائق في غريب الحديث للزمخشري (٣/ ٧٢)، والنهاية لابن الأثير (٣/ ٣٨١).

تناصحوا من ولاه الله أمركم»[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فقد جمع في هذه الأحاديث بين الخصال الثلاث... وهذه الثلاث تجمع أصول الدين وقواعده، وتجمع الحقوق التي لله ولعباده وتنتظم مصالح الدنيا والآخرة» إلى أن قال: «وأما الحقوق العامة، فالناس نوعان: رعاة ورعية، فحقوق الرعاة مناصحتهم، وحقوق الرعية لزوم جماعتهم، فإن مصلحتهم لا تتم إلا في اجتماعهم، وهم لا يجتمعون على ضلالة، بل مصلحة دينهم ودنياهم في اجتماعهم واعتصامهم بحبل الله جميعًا، فهذه الخصال تجمع أصول الدين»[٢].

فأهل السنة والجماعة لإيمانهم بالكتاب كلِّه، وتحقيقهم الوسطية التي أثنى الله ـ تبارك وتعالى ـ عليهم بها، وفقوا للجمع بين هذه النصوص، كما هو ديدنهم في سائر مسائل الدين العلمية والعملية. وبذلك يتم تحقيق المصلحة العامة، أو أعلى المصلحتين بتفويت أدناهما، أو لدرء المفسدة العظمى المترتبة على الشغب على الأئمة، وعدم امتثال السمع والطاعة لهم في المعروف، وما يترتب على ذلك من سفك الدماء، وشيوع الفوضى والفساد، وانتهاك الحرمات، وعدم الأمن، وتعطيل الشعائر الدينية، والمصالح العامة والخاصة في ذلك.

وهم بذلك أعدل الفرق وأفضلها؛ فخالفوا الخوارج وأهل الأهواء من المعتزلة وغيرهم الذين يرون الخروج على السلطان، كما خالفوا المرجئة ومَن وافقهم من علماء السوء الذين يُزَيِّنون للظلمة

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الأقضية، باب: النهي عن كثرة المسائل (ح: ٤٤٨١).

(٢) مجموع الفتاوى (١/ ١٨- ١٩).

أفعالهم القبيحة ويعدونهم بغفران الله لهم وأنهم ظل الله في الأرض. و«أن الله إذا استخلف خليفة تقبل منه الحسنات، وتجاوز له عن السيئات وربما قالوا: إنه لا يحاسبه»(١).

قال ابن القيم رحمه الله عن أهل السنة والجماعة واختصاصهم بهذه الوسطية: «فهم حكام بين الطوائف، لا يتحيزون إلى فئة منهم على الإطلاق، ولا يردون حق طائفة من الطوائف ولا يقابلون بدعة ببدعة، ولا يردون باطلاً بباطل... امتثالًا منهم لقوله تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [الشورى: ١٥]»(٢).

* **المبحث الرابع: الالتفاف حول العلماء الراسخين والهداة الناصحين** بالاستماع إليهم والاهتداء بآرائهم، فإنهم أقدر الناس على بيان المشتبهات، والرد على الشبهات، وهم الأقدر على تقدير المصالح والمفاسد؛ أي المصلحتين أرجح وأي المفسدتين أعظم، كما أنهم أكثر الناس بصرًا بالأمور، جعل الله لهم فرقانًا يُفَرِّقون به بين الحق والباطل، والهدى والضلال. وقد أمرنا الله تبارك وتعالى بسؤالهم واستفتائهم فيما أشكل علينا، قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

---

(١) منهاج السنة (١/ ٢٣٢) ط. القديمة.

(٢) شفاء العليل (١/ ١٩٩). وينظر في تفصيل وسطية أهل السنة والجماعة بين الفِرق الكتاب الممتع لفضيلة د. محمد باكريم بن محمد باعبد الله بعنوان: (وسطية أهل السنة بين الفِرق).

فهُم كما قال ابن القيم: «حياة الوجود وروحه، لا يستغنى عنهم طرفة عين...»[١]. ولذا روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن مثل العلماء في الأرض كمثل نجوم السماء يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم يوشك أن تضل الهداة**»[٢].

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٌ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾ [النساء: ٨٣].

قال بعض المفسرين: أي ذوي الرأي من أكابر الصحابة، وقال بعضهم: هم العلماء وذوو الرأي والحكمة، فتُرد الأمور إلى أهلها من ذوي الحل والعقد من العلماء أو أمراء السرايا[٣] وأهل الرأي والنصح والعقل والرزانة[٤] الذين يقودون الناس بكتاب الله والحكمة.

فالرجوع إلى العلماء عصمةٌ للأمة من الضلال، وسبيلٌ من سُبل الوقاية من الفتن والزيغ والانحراف، كما أن في هذا دليلًا لقاعدة أدبية،

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٢١).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٥٢)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (٢/ ١٣٨)، والآجري في أخلاق العلماء (ح: ١٥) (ص٥٥)، قال الهيثمي: «فيه رشدين بن سعد واختُلف في الاحتجاج به، وأبو حفص صاحب أنس مجهول» مجمع الزوائد (١/ ٣٢٧). ورواه الآجري في أخلاق العلماء موقوفًا على أبي الدرداء (ح: ١٦) (ص٥٦).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٥/ ١٨٢)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٥٠)، وزاد المسير (٢/ ١٦٢)، وتفسير ابن سعدي (ص٢٠٥).

(٤) تفسير ابن سعدي (٢/ ١١٣).

وهي: «أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يولى مَن هو أهل لذلك، ويجعل إلى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب للصواب وأحرى للسلامة من الخطأ»[١].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

فعند التنازع بين الإمام ورعيته، فإنه يجب الردُّ إلى الله والرسول ﷺ، وذلك برده إلى حكم الكتاب والسنة، الذي يحكم به العلماء الراسخون، فهم أعلام الهدى وسادة الأمة وخيار المسلمين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في حقهم: «هم ورثة الأنبياء الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم يُهتدى بهم في ظلمات البر والبحر، وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم؛ إذ كل أمة قبل مبعث محمد ﷺ فعلماؤها شرارها إلا المسلمين، فإن علماءهم خيارهم، فإنهم خلفاء الرسول في أمته والمحيون لما مات من سنته، بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا»[٢]. ولذا روي عنه ﷺ أنه قال: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**»[٣]. قال الخطيب البغدادي: «وهذه شهادة من

---

(١) المصدر نفسه (٢/ ١١٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٢٣١- ٢٣٢). وينظر: أعلام الموقعين لابن القيم (١/ ٩).

(٣) أخرجه ابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص١) والخطيب في شرف أصحاب الحديث (ص٢٩)، وابن عدي في الكامل (٣/ ١٥٣) وضعَّفه، والآجري في الشريعة =

رسول الله ﷺ بأنهم أعلام الدين، وأئمة المسلمين لحفظهم الشريعة من التحريف والانتحال للباطل، ورد تأويل الأبله الجاهل وأنه يجب الرجوع إليهم، والـمُعَوَّل في أمر الدين عليهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ»(١).

قال ابن قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولو رَدُّوا المشكل منهما ـ أي الكتاب والسنة ـ إلى أهل العلم بهما وضح لهم المنهج، واتسع لهم المخرج. ولكن يمنع من ذلك طلب رياسة، وحبّ الأتباع، واعتقاد الإخوان بالمقالات. والناس أسراب طير يتبع بعضها بعضًا. ولو ظهر لهم من يدّعي النبوة ـ مع معرفتهم بأن رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء، أو من يدّعي الربوبية ـ لوجد على ذلك أتباعًا وأشياعًا»(٢).

وتقدم معنا أن من أسباب الفتن فشو الجهل ونقص العلم.

واجب العلماء عند حلول الفتن:

فهذا هو دور العلماء الربانيين الراسخين وقيادتهم الأمة، وخاصة زمن الفتن الذي تختلط فيه الأفهام، ويلتبس الحق بالباطل، فيجب على

= (ح: ١) (١/ ١٥٧) وغيرهم بأسانيد ضعيفة وطرق كثيرة، وقد قال مهنا لأحمد: «كأنه موضوع، قال: لا، هو صحيح». شرف أصحاب الحديث (ص٢٩). قال العقيلي: «وقد رواه قوم مرفوعًا من جهة لا تثبت» الضعفاء (٤/ ٢٥٦)، ووهاه الذهبي في الميزان (١/ ٤٥).

ينظر مَن جمع طرقه وتكلم عليها: كشف الأستار (١/ ٨٦)، والإصابة (١١/ ١٩٢)، وتخريج الشريعة (١/ ١٥٧)، وذكر الألباني أن العلائي صحح بعض طرقه. تعليقه على مشكاة المصابيح (١/ ٨٢- ٨٣).

(١) نقله القرطبي في مقدمة الجامع لأحكام القرآن (١/ ٧١).

(٢) تأويل مختلف الحديث (ص١٤).

الأمة الرجوع إلى علمائها، والصدور عن آرائهم وتوجيهاتهم، ففي ذلك نجاتهم بإذن الله تعالى.

كما يجب على العلماء قيادة الأمة، والتَّصَدر لبيان الحق والحثَّ عليه، والتحذير من الباطل وكفّ الناس عنه، فهم ورثة النبي ﷺ وخلفاؤه في أمته، وما من نبي إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، والله سائلهم عما استرعاهم، وعن الميثاق الذي واثقهم به، كما عليهم ألا يتركوا الصدارة لأصحاب المواقف المتعجِّلة غير المدروسة، أو للرويبضة والمنافقين الذين يُضلّون الناس بغير علم، ويُلَبِّسون على الناس دينهم الحق.

ومما يدل على ضرورة الرجوع إلى أهل العلم الراسخين: ما يحصل في الفتنة من اضطراب واختلاف، حتى إن الحليم ليصير حيران، وحتى تزيغ قلوب فريق من الناس وتذهب عقولهم.

قال حذيفة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ: «ما الخمرُ صِرْفًا بأَذهب لعقول الرجال من الفتن»[(١)].

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تكون فتنة تعرج فيها عقول الرجال، حتى ما تكاد ترى رجلًا عاقلًا»[(٢)]. ثم يبين ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ متى لا تضرك الفتنة؟ فقال: «ما عرفت دينك، إنما الفتنة إذا اشتبه عليك الحق والباطل»[(٣)].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ٨٨).

(٢) أخرجه أبو نعيم في كتاب الفتن (١/ ٦٢)، مرفوعًا. عن ليث بن أبي سليم، قال: حدثني الثقة، عن زيد بن وهب، عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما. وليث مختلط. وفيه راو لم يسم.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ٧٠).

وهذا يقتضي الرجوع إلى أهل العلم الراسخ لمعرفة الدين وتبين الحق من الباطل.

وعن أبي موسى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله ﷺ قال: «**يكون بين يدي الساعة الهَرْج**» قالوا: يا رسول الله وما الهرج؟ قال: «**القتل**» قالوا: أكثر مما نقتل؟ قال: إنه ليس من قتلكم المشركين، ولكن قتل بعضكم بعضًا، قالوا: ومعنا عقولنا؟ قال: «**إنه لتنزع عقول أهل ذلك الزمان**»(١).

زاد أحمد: قال أبو موسى: «والذي نفسي بيده، لا أجد لي ولكم إن أدركناها، إلا أن نخرج منها كما دخلناها، ولم نصب منها دمًا ولا مالًا»(٢).

وقد أحسن البخاري صنعًا؛ حينما ساق أبيات امرئي القيس في كتاب الفتن(٣) فقال: قال ابن عيينة، عن خلف بن حوشب: كانوا يستحبون أن يتمثلوا بهذه الأبيات عند الفتن، قال امرؤ القيس:

الحربُ أَوَّلُ ما تكونُ فَتِيَّةً ... تسعى بزينتها لكل جَهُولِ
حتى إذا اشتعلت وشَبَّ ضِرَامُها ... وَلَّت عجوزًا غيرَ ذاتِ حليلِ
شمطاءَ يُنْكرُ لَوْنُهَا وتَغيَّرتْ ... مكروهةً للشَّمِّ والتقبيلِ(٤)

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣٩١)، والبيهقي في الدلائل (٦/ ٥٢٨)، وابن حبان (١٥/ ١٠٣) واللفظ له. وصححه الألباني في الصحيحة (١٦٨٢).

(٢) مسند أحمد (٤/ ٣٩١).

(٣) في باب: الفتنة التي تموج كموج البحر (ص١٢٢٣) ط. دار السلام.

(٤) هذه الأبيات في ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي منسوبة إليه (ص١٥٦- ١٥٧) صنعه: هشام الطعان. ط. بغداد ١٣٩٠هـ مع اختلاف في بعض الألفاظ.

فإن الفتنة لا تغري إلا الجهال، ولا يسقط في حبالها إلا الضلال، تتزين لهم فيندفعون إليها بلا رَوِيَّة ولا نظر فيما يعقبها ويترتب عليها. وقد يسقط فيها من اشتهر ببعض العلم والفضل فيتبعه مريدوه ومحبوه فيوردهم المهالك، كما سيأتي في التحذير من زيغة الحكيم وزلة العالم، نسأل الله العافية والسلامة.

تعريف بالعلماء الربانيين:

وهنا قد يتساءل بعض الناس عن العلماء الربانيين مَن هم؟ وما هي أبرز وأهم خصالهم وصفاتهم؟

فنقول: إن هذه اللفظة (ربانيون) جاءت في كتاب الله تعالى في ثلاثة مواضع، وفي الموضع الرابع بمعناها على قول بعض أهل العلم:

١- جاءت في سورة آل عمران [آية: ٧٩] في قول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾.

٢- كما جاءت في سورة المائدة [آية: ٤٤] في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ...﴾.

٣- كما وردت في سورة المائدة أيضًا [آية: ٦٣] في قوله تعالى:

﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾.

أما الموضع الرابع ففي سورة آل عمران أيضًا [آية: ١٤٦] في قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾.

وقد فسَّر بعض أهل العلم (الربِّيون) بالربانيين(١).

ولم يعرف أن هذا اللفظ جاء في السنة، لكنه ورد في الأثر عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وقال أمير المؤمنين الخليفة الراشد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الناس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهَمَجٌ رَعَاعٌ أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق»(٢).

وقال محمد بن الحنفية لما مات ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «اليوم مات رباني هذه الأمة»(٣).

وحاصل كلام العلماء في معنى (رباني) يرجع إلى أحد المعاني التالية:

الأول: أن الرباني: نسبة إلى الرّبّ. ومعناه: العالم بدين ربّه وشرعه وأحكامه؛ العامل بما علم، قال ابن عباس ـ كما في البخاري ـ: ﴿وَلَٰكِن

(١) تفسير القرطبي (٤/ ٢٣٠). وينظر زاد المسير (٢/ ٣٧).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٧٩- ٨٠) واللفظ له، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١/ ٥٠)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٤٥) مختصرًا.

(٣) تفسير البغوي (١/ ٣٧٥).

﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ قال: «حلماء، فقهاء، علماء»[1]. وقال ابن مسعود: «حكماء علماء»[2]. وقال أبو عبيدة: «هو الذي علم وعمل بما علم، واشتغل بتعليم طرق الخير»[3].

ولهذا يرى مجاهد بن جبر أن الربانيين فوق الأحبار[4]، يعني: مقدَّمُون على العلماء، علماء وزيادة «لأن الأحبار هم العلماء، والرباني: الجامع إلى العلم الفقه والبصر بالسياسة والتدبير والقيام بأمور الرعية، وما يصلحهم في دنياهم ودينهم»[5].

وفي هذا ردّ على الذين يريدون عزل العلماء عن السياسة وحسن التدبير للوالي والمولى عليه. وبيان لعظم دور العلماء الربانيين ومقامهم ومسؤليتهم أمام أمتهم ومجتمعهم وهم الذين أمر الله تعالى بالرَّد إليهم عند التنازع بين الراعي والرعية ـ كما تقدم[6] ـ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾.

---

(١) ذكره البخاري تعليقًا في كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل (ص١٦) ط. دار السلام، وورد موصولًا بإسناد حسن عند ابن أبي عاصم والخطيب، ووافقه على هذا التفسير ابن مسعود فيما رواه عنه إبراهيم الحربي في غريبه بإسناد صحيح. ينظر: فتح الباري (١/ ١٩٥).

(٢) تفسير القرطبي (٤/ ١٢٢) والدر المنثور (٢/ ٢٥١).

(٣) تفسير الرازي (٨/ ٩٨)، وغرائب القرآن (٢/ ١٩٥) للنيسابوري: الحسن بن محمد القمي، ط. أولى ١٤١٦هـ.

(٤) تفسير السمعاني (١/ ٣٣٦).

(٥) تفسير ابن جرير (٢/ ٣٢٧).

(٦) (ص٩٤).

الثاني: أن الرباني نسبة إلى الرّبّ أيضًا، لكن معناه العارف لربه العالم به، المواظب على طاعته وعبادته.. فالربانيون: المتألِّهون العارفون بالله تعالى. قال الحسن: «﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ يعني أهل عبادة وأهل تقوى»[(١)].

والثالث: الرباني: نسبة إلى التربية. فالرباني منسوب إلى الرَّبَّان، وهو الذي يربّ الناس، من قولهم: يربّه إذا دبّره وأصلحه، أي يصلح أمورهم ويقوم بها ولذلك قالوا: «الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره»[(٢)] يعني من التربية. فيربون الناس على كتاب الله تعالى والعلم الشرعي. ومعنى (بصغار العلم قبل كباره) يعني التدرج فيه. وصغار العلم هي المسائل العامة والأصول الكلية التي لا تحتاج إلى كبير فهم ولا دقيق علم، أما كباره فهي المسائل الدقيقة التي لا يتقنها إلا أهل العلم، ولا يعرف مآخذ المختلفين فيها إلا أهل الاختصاص كدقائق العلوم وخلافياتها، وإلا فليس في مسائل العلم بالشريعة صغير[(٣)].

وزيادة الألف والنون في الرباني إنما هي للمبالغة؛ يقول سيبويه: «زادوا ألفًا ونونًا في الرباني؛ أرادوا تخصيصًا بعلم الرب دون غيره من العلوم»[(٤)].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٦٦).

(٢) البخاري (ص١٦) ط. دار السلام.

(٣) قال الحافظ ابن حجر: «المراد بصغار العلم ما وضح من مسائله، وبكباره ما دق منها، وقيل: يعلمهم جزئياته قبل كلياته، أو فروعه قبل أصوله، أو مقدماته قبل مقاصده». فتح الباري (١/ ١٩٥).

(٤) تهذيب اللغة (١٥/ ١٢٩). وينظر: زاد المسير (١/ ٣٥٠).

فالذي يظهر ـ والعلم عند الله ـ أن معنـى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ يشمل هذه المعاني الثلاثة ويجمعها، فهو العارف بربه، العابد له، المتأله له، وهو العالم بعلم الرب؛ أي بدينه وشرعه، وهو المعلم غيره المربي لهم، والناصح القائم على ما يصلحهم، الجامع مع العلم البصارة بسياسة الناس، وهو الجامع لمعنى (الأمة) كما سيأتي قريبًا وهو الجامع للعلم والعمل والتعليم والدعوة والإصلاح.

أما سمات وخصال العلماء الربانيين الراسخين الذين يُنصح بالرجوع إليهم، فهذه نجملها فيما يلي[1]:

١ ـ سلامة المعتقد والتزام السنة، واستقامة السيرة والسلوك، بأن يكون ملتزمًا طريق السلف الصالح من الصحابة رضوان الله عليهم فمَن بعدهم ممن قفا أثرهم في جميع أبواب الدين من التوحيد والعبادات والأخلاق والمعاملات، متميزًا بالتزام آثار النبي ﷺ وتطبيقها على نفسه، فمن كان على الأثر فهو على الطريق.

ومن أبرز علامات حُسن المعتقد: الغَيْرة على السنة، وبُغض أهل البدع وذمهم، والتحذير منهم، وعدم المداهنة في دين الله تعالى.

كما أن من أبرز علاماته: الإخلاص لله تعالى وابتغاء مرضاته. يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كثير من طلبة العلم ليس مقصودهم به إلا تحصيل رئاسة أو مال، ولكل امرئ ما نوى، وأما أهل العلم والدين الذين هم أهله فهو مقصود عندهم لمنفعته لهم وحاجتهم إليه في الدنيا

---

(١) ينظر كتاب: العواصم من الفتن قبل وقوعها، د. إبراهيم الدويش (ص٦٧ وما بعدها)، ففيه تفصيل جيد لبعض هذه السمات.

والآخرة... ولهذا تجد أهل الانتفاع به يزكّون به نفوسهم، ويقصدون فيه اتباع الحق، لا اتباع الهوى، ويسلكون فيه سبيل أهل العدل والانصاف ويحبونه ويتلذذون به، ويحبون كثرته وكثرة أهله، وتبعث هممهم على العمل به وبموجبه ومقتضاه...»[١].

٢ ـ الرسوخ في العلم والتضلع فيه؛ بحيث يكون عالمًا (ربانيًا) وهو الرفيع الدرجة فيه، العالي المنزلة فيه، وعلى ذلك حملوا قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾ [المائدة: ٦٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩][٢]. قال البخاري: «قال ابن عباس: «حلماء، فقهاء، علماء»، ويقال: الرباني: الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره»[٣].

٣ ـ العمل بالعلم، فمن زَيَّن علمه بالعمل فهو رباني، ولذلك قال علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «يا حملة العلم؛ اعملوا به، فإن العالم من عَمِل بما علم، ووافق عِلْمُهُ عَمَلَه...»[٤].

ومن أعظم العمل بالعلم تعليمه وبذله لأهله ابتغاء وجه الله، قال ابن الأعرابي: «إذا كان الرجل عالمًا عاملًا معلمًا قيل له: هذا رباني، فإن خَرم منه خصلة منها لم يقل له: رباني»[٥]. وهذا هو معنى الإمامة في

(١) منهاج السنة النبوية (٨/ ٢٠٩- ٢١٠).

(٢) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (١/ ٥١).

(٣) كما تقدم قريبًا.

(٤) أخرجه الدارمي في سننه (٣٨٢) وهو ضعيف، فيه بشر بن سلم وثوبر بن فاختـه. وكلاهما ضعيف. وينظر: الموافقات (١/ ٧٥).

(٥) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه (١/ ٥٠).

الدين، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣]، وقال عز اسمه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]، فجمعت هذه الآيات أبرز خصال العلماء الربانيين، وهي أن يكون عالمًا ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾، عابدًا ﴿وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾، معلمًا ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾، قال القرطبي: «أي أمرناهم بذلك، وقيل: ﴿بِأَمْرِنَا﴾ أي: لأمرنا، أي يهدون الناس لديننا»(١).

ومن تحققت فيه هذه الخصال فحرِيٌّ أن ينال مقام (الأمة) كما قال الله تعالى عن إبراهيم الخليل ـ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ـ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠]، وهو الجامع لخصال الخير، وقد اختلفت عبارات السلف في تفسير هذه اللفظة (الأمة)، وتجتمع أقوالهم في أن الأمة هو الإمام المقتدى به في الخير، ولا يكون كذلك ما لم يكن معلمًا لهم بالقول والفعل، فلا يكون العبد أمة حتى يجمع خصال الخير، فيكون شبيهًا بإبراهيم ـ عليه السلام ـ جامعًا لخصال الخير معلمًا لها، فيكون كأمة فيها. وقد كان ابن مسعود يصف معاذًا رضي الله عنهما بأنه «أمة»، فيقول: «إن معاذًا كان أمة، قانتًا لله حنيفًا» قال الراوي ـ فروة بن نوفل ـ: فقلت في نفسي: غلط أبو عبد الرحمن، إنما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ

(١) تفسير القرطبي (١٤/ ٧٣).

﴿أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ ...﴾، فقال: تدري ما الأمة؟ وما القانت؟ قلت: الله أعلم. قال: الأمة: الذي يعلم الناس الخير، والقانت: المطيع لله ولرسوله، وكذلك كان معاذ بن جبل يعلم الخير، وكان مطيعًا لله ولرسوله[١].

قال الشاعر:

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد[٢]

٤ـ ملازمة الورع والتقوى والخشية، فمن كان بالله أعرف كان له أخشى، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، قال الربيع بن أنس: «من لم يَخْشَ الله تعالى فليس بعالِم»[٣]، وقال رجل للشعبي: «أفتني ـ أيها العالم ـ، فقال: العالم من يخاف الله»[٤]، وقال مجاهد: «إنما الفقيه من يخاف الله»[٥] وقال: «إنما العالم من خشي الله عز وجل»[٦].

٥ ـ بيان الحق وعدم كتمانه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالعالم الرباني عالم محتسب، لا يخشى في الله لومة لائم، فلا يداهن ولا

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ١٩١).

(٢) هذا البيت لأبي نواس في ديوانه يمدح بها الفضل بن الربيع (ص٢٧) ط. جمعية الفنون.

(٣) تفسير القرطبي (١٤/ ٣٤٣).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٥٦٦٨) والدارمي (٢٥٨).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٥٤٥٢)، والدارمي (٢٩٦).

(٦) تفسير القرطبي (١٤/ ٣٤٣).

يحابي؛ لأنه من ورثة الأنبياء الذين قال الله فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

ولذلك كان مما بايع الصحابة عليه رسول الله ﷺ كما في حديث عبادة المتقدم: «وعلى أن نقول الحق أينما كنا لا نخشى في الله لومة لائم»(١).

قال البخاري: «قال أبو ذر: لو وضعتم الصمصامة(٢) على هذه ـ وأشار إلى قفاه ـ ثم ظننت أني أُنْفِذُ كلمة سمعتها من رسول الله ﷺ قبل أن تجيزوا عليّ لأنفذتُها»(٣).

وهذه الخصلة من أهم وظائف الربانيين كما قال تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ ...﴾ وقوله: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾ قال الشوكاني عند تفسير آية آل عمران ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ ...﴾ قال: «في هذه الآية أعظم باعث لمن علم أن يعمل بما علم، وإن من أعظم العمل بالعلم تعليمه، والإخلاص لله سبحانه»(٤).

---

(١) البخاري (ح: ٧٢٠٠)، ومسلم (١٧٠٩) من حديث صفية ـ رضي الله تعالى عنها ـ.

(٢) الصمصامة: السيف القاطع. النهاية (٣/ ٥٢). وقال الحافظ: «الصارم الذي لا ينثني، وقيل الذي له حدّ واحد» فتح الباري (١/ ١٩٤).

(٣) رواه البخاري معلقًا في كتاب العلم. باب: العلم قبل القول والعمل (ص١٦) دار السلام.

(٤) فتح القدير (١/ ٤٣٥).

فالحامل للعلم لا يزال بخير ما دام قائمًا بالحجة، مرشدًا إليها، ناشرًا لها، غير مستبدل بها عرضًا من أعراض الدنيا أو مرضاة أهلها.

٦ ـ مجانبة الفتن ومواطن الشُبه: العالم الرباني هو محط أنظار الناس لما له من المكانة في قلوب الناس، وحرصهم على الاقتداء به والاهتداء بهديه، ولكنه مثل المرآة الصافية التي يؤثر فيها أدنى قذى، ويشوِّش على الناظر فيها ويمنع عنه كمال الانتفاع بها. فيجب أن يكون حريصًا على هذا الصفاء، بعيدًا عن مواطن الفتنة والشبهة.

والأصل في ذلك فعل النبي ﷺ مع زوجه صفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لما أرادت الإنصراف من عنده من المسجد، فقال: «**لا تعجلي حتى أنصرف معك**»، وكان بيتها في دار أسامة، فخرج النبي ﷺ معها، فلقيه رجلان من الأنصار، فنظرا إلى النبي ﷺ ثم أجازا، فقال لهما ﷺ: «**على رسلكما، إنها صفية**» قالا: سبحان الله يا رسول الله. قال: «**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإني خشيت أن يلقي في أنفسكما شيئًا**»[(١)].

قال النووي: «فيه استحباب التحرز من التعرض لسوء ظن الناس في الإنسان، وطلب السلامة، والاعتذار بالأعذار الصحيحة، وأنه متى فعل ما قد يُنكر ظاهره ـ مما هو حق، وقد يخفى ـ أن يبيِّن حاله ليدفع ظن السوء»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في الاعتكاف (ح: ١٨٩٧)، ومسلم في السلام (ح: ٤٠٤١).

(٢) شرح صحيح مسلم (١٤/ ١٥٦).

وهذا التحرز له مأخذان:

الأول: حفظ نفسه من الميل للدنيا وأصحابها والتساهل في رؤية المنكر والسكوت عن إنكاره بما لا يليق بعزة العلم وأنفة الإيمان.

الثاني: حفظ عرضه، وصون جنابه، وحماية العلم من الامتهان، فإن في ذلك صد الناس عن الأخذ منه والرضا بقوله وقبول فتواه؛ فقد جرت العادة بجفاء الناس لمن قرب من مواطن الريبة، وقربهم وطاعتهم للعالم المتحرز منها.

وهذا باب خَطِرٌ يطول الكلام في تفصيلاته وجزئياته[١].

ومن التطبيق العملي لهذه المسألة نذكر بعض الحوادث:

١ ـ ففي الصحيحين من حديث عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن أبا هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: لما توفي رسول الله ﷺ كان أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكفر من كفر من العرب، فقال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إلٰه إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه، إلا بحقه وحسابه على الله**»؟ فقال: والله، لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها». قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: فوالله، ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فعرفت أنه الحق»[٢].

---

(١) ينظر: وسم الفقيه وسمت المتفقه، د. أحمد بن صالح الزهراني (ص٤٦٠ فما بعدها).

(٢) أخرجه البخاري في الزكاة، باب: وجوب الزكاة (١٤٠٠)، ومسلم في الإيمان (٢٦).

قال علي ابن المديني: «أعز الله الدين برجلين، ليس لهما ثالث. أبو بكر الصدِّيق يوم الردة، وأحمد بن حنبل يوم المحنة»[1]. والشاهد من ذلك أن العلماء الربانيين وقفوا موقفًا ثابتًا في هذه الفتن العصيبة، فالتف الناس حولهم، واطَّرحوا ما كانوا يرونه من اجتهادات، فتبين أن الحق الذي لا مرية فيه مع هؤلاء الأئمة الأعلام، وذلك بعد انجلاء الغُمَّة، ووضوح الرؤية.

٢ ـ وعن عمرو بن يحيى بن عمرو بن سلِمَة الأنباري قال: حدثنا أبي قال: «كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري فقال: أَخَرجَ أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا: لا، فجلس إلينا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعًا، فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن، إني رأيت في المسجد آنفًا أمرًا أنكرته، ولم نر ـ ولله الحمد ـ إلا خيرًا، قال: وما هو؟ قال: إن عشت فستراه، قال: رأيت في المسجد قومًا جلوسًا ينتظرون الصلاة، في كل حَلْقة رجل، وفي أيديهم حصى فيقول الرجل: كبروا مئة، فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مئة، فيهللون مئة، ويقول: سبحوا مئة، فيسبحون مئة، قال: فماذا قلتَ لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئًا أنتظر رأيك، قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم، وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء، ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من

(١) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ٤١٨) وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (١١/ ١٩٦) وفي تاريخ الإسلام (١٨/ ٧١)، وذكر نحوه ابن كثير عن المزني في البداية والنهاية (١٠/ ٢٥٠).

تلك الحِلَق فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون، قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصى نعدّ به التكبير والتهليل والتسبيح، قال: فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامن ألا يضيع من حسناتكم شيء، ويْحَكم يا أمة محمد ما أسرع هَلَكَتِكُم، هؤلاء صحابة نبيكم متوافرون، وهذه ثيابه لم تَبْل وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد، أو مفتتحو باب ضلالة، قالوا: يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مريد للخير لم يصبه، إن رسول الله ﷺ حدثنا ـ فذكر حديثًا لعله حديث الخوارج ـ ثم قال: وايم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم. فقال عمرو بن سَلِمة: فرأينا عامة أولئك الحِلَق يطاعنوننا يوم النَهْرَوَان مع الخوارج[1].

فهذا دليل على أن التساهل في لزوم السنة، مدعاة للولوج في الفتنة. وفيه تورع السلف وتوقفهم في الأمور الحادثة حتى يأخذوا رأي علمائهم ولذلك قال أبو موسى: «ما قلت لهم شيئًا أنتظر رأيك» مع أن أبا موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من كبار علماء الصحابة، لكنه من ورعه لم يشأ أن ينفرد بالإنكار على أولئك حتى يستشير ويستأنس برأي العلماء الآخرين، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

٣ ـ وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: حدثني أبو معمر القطيعي قال: لما حضرنا إلى دار السلطان أيام المحنة وكان أحمد بن حنبل قد أُحْضر، فلما رأى الناس يجيؤن ـ وفي رواية «يجيبون» ـ وكان رجلًا لينًا، فانتفخت أوداجه واحمرت عيناه، وذهب ذلك اللين الذي كان فيه،

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه (ح: ٢١٠ (١/ ٦٠).

فقلت: إنه قد غضب لله!... فقلت له: أبشر... كان من أصحاب رسول الله ﷺ من إذا أريد على شيء من دينه رأيت حماليق عينيه في رأسه تدور كأنه مجنون»[(١)].

فكان اعتصام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ بالسنة، وعدم تساهله فيها، سببًا لثباته، وثبات الأمة من بعده، ولذلك سمي ـ بحق ـ إمام أهل السنة.

٤ ـ وذكر ابن القيم مقام شيخ الإسلام في التثبيت عند الفتن، فقال: «وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض، أتيناه فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه، فيذهب ذلك كله عنا»[(٢)].

ذكر ابن كثير في أحداث سنة (٧٠٢هـ) وقتال التتار فقال: «وقد تكلَّم الناس في كيفية قتال هؤلاء التتر من أي قبيل هو؟ فإنهم يظهرون الإسلام، وليسوا بغاة على الإمام، فإنهم لم يكونوا في طاعته في وقت ثم خالفوه؟

فقال الشيخ تقي الدين: هؤلاء من جنس الخوارج، الذين خرجوا على علي ومعاوية، ورأوا أنهم أحق بالأمر منهما، وهؤلاء يزعمون أنهم أحق بإقامة الحق من المسلمين، ويعيبون على المسلمين ما هم متلبسون به من المعاصي والظلم، وهم متلبسون بما هو أعظم منه أضعافًا مضاعفة.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٩/ ١٩٤)، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٣٨).

(٢) الوابل الصيب، (ص١٠٦).

فتفطن العلماء والناس لذلك، وكان يقول للناس: إذا رأيتموني من ذلك الجانب وعلى رأسي مصحف فاقتلوني، فتشجع الناس في قتال التتار، وقويت قلوبهم ونياتهم، ولله الحمد»[١].

وهنا يجب التنبيه إلى الحذر من أخذ العلم والفتاوى من الجهات المشبوهة غير الموثوقة، وإن نسبوها إلى كبار العلماء، كالصحافة ومواقع الاتصال الإلكتروني (الإنترنت) وصفحاته غير المعروفة؛ فقد ينسبون إلى أهل العلم ما لم يقولوه، ويفترون عليهم الكذب لتحقيق أهدافهم.

كما يحذر الأخذ بفتاوى بعض طلبة العلم مِمَّن قد يقرأ شيئًا وتفوته أشياء فيقول فيها برأيه، وقد يطبق نصوصًا ولكن في غير موضعها، فيكون بذلك فتنة له ولمن أفتاه بغير علم، بخلاف الراسخ في العلم الذي عنده تجربة ومعرفة بعواقب الأمور، ومآلات الأحكام ومقاصدها، من العلماء المعروفين بالرسوخ في العلم والورع المبعد عن المداهنة والهوى كما تقدم، ولذا جاء من حديث أبي أمية الجمحي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر**»[٢]. قيل لابن المبارك: مَن الأصاغر؟ قال: الذين يقولون برأيهم، فأما صغير يروي عن كبير فليس بصغير[٣].

---

(١) البداية والنهاية (١٤/ ٢٨).

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص٢١)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ٣٦١) (ح: ٩٠٨)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٦١٢) (ح: ١٠٥٢)، وذكره الألباني في الصحيحة (ح: ٦٩٥)، وقال: «هذا إسناد جيد».

(٣) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٦١٥) تحقيق: الزهيري، ط. (١) ١٤١٤هـ.

وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ألا إن الناس لم يزالوا بخير ما أتاهم العلم عن أكابرهم»[١].

وقال ابن مسعود: «لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم، فإذا أخذوه عن صغارهم وشرارهم هلكوا»[٢]. ولذلك فما خرجت الخوارج إلا بسببهم، وما خرجت القدرية إلا بسببهم، وما خرجت الروافض إلا بسببهم، وهكذا إلى زماننا هذا.

كما يجب الحذر من زلة العالم وزيغة الحكيم، فعن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: أحذركم زيغة الحكيم، فإن الشيطان قد يقول الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق). قيل لمعاذ: وما ندري ـ رحمك الله ـ أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة، وأن المنافق قد يقول كلمة الحق؟ قال: اجتنبوا من الحكيم المشتهرات. وفي رواية: المشتبهات، التي يقول: ما هذه؟ وفي رواية: ما تشابه عليك من قول الحكيم، حتى تقول: ماذا أراد بهذه الكلمة[٣].

يعني ما يستغربه الناس منه، هل حقًا ما قاله؟ وماذا يعني به؟ وكيف بدر منه ذلك؟

وعن زياد بن حُدَيْر قال: قال لي عمر: «هل تعرف ما يهدم

---

(١) المصدر السابق (١/ ٦١٥).

(٢) المصدر نفسه (١/ ٦١٦).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (ح: ٢٠٧٥٠) وأبو داود (ح: ٤٦١١) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٨٩)، وذكره أبو شامة في الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص١٣) من طريق أخرى.

الإسلام؟ قال: قلت: لا، قال: يهدمه زلة العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين»(١).

ولذلك كان السلف يقولون: «احذروا فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون»(٢)؛ لأن الأول يشبه المغضوب عليهم، الذين يعلمون الحق ولا يتبعونه، والثاني يشبه الضالين الذين يعملون بغير علم(٣).

قال ابن القيم: «فإن الناس إنما يقتدون بعلمائهم وعبادهم، فإن كان العلماء فجرة والعبّاد جهلة عَمَّت المصيبة، وعظمت الفتنة على الخاصة والعامة»(٤).

قال ابن عيينة: «من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى»(٥).

---

(١) أخرجه الدارمي في السنن برقم (٢١٤)، وذكره أبو شامة في الباعث (ص١٥).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (ح: ٢٠٧٥٠) وأحمد في العلل (٣/ ١١٨) (ح: ٤٥٠١) وابن المبارك في كتاب الزهد (ص١٨) (ح: ٧٥) من زوائد نعيم بن حماد، وأبو داود في سننه (ح: ٤٦١٣)، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١/ ٩٢)، والآجري في أخلاق العلماء (ص١٠٨) وفي مسألة الطائفين له (ص٢٦) من قول سفيان الثوري رحمه الله. وأخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٦٦٦)، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٢/ ٩٢)، وفي شعب الإيمان (ح: ١٧٥٢) (٤/ ٤٦٥) من قول ابن المبارك، وقد سمعه من سفيان كما صرّح بذلك في الزهد (ح: ٧٥).

(٣) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٦٧).

(٤) مفتاح دار السعادة (١/ ٤٩٠).

(٥) ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١/ ١٩٧) و(١٣/ ١٠٠)، واقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٦٧).

وكان عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ ينشد:

وهل بدّل الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها[١]

وقد شبَّه العلماء زَلَّة العالم بانكسار السفينة؛ لأنها إذا غرقت غرق معها خلق كثير[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا قيل: صنفان إذا صلحوا صلح الناس: العلماء والأمراء، وكما أن المنفعة فيهما؛ فالمضرة منهما، فإن البدع والظلم لا تكون إلا فيهما: أهل الرياسة العلمية، وأهل الرياسة القدرية، ولهذا قال طائفة من السلف كالثوري وابن عيينة وغيرهما ما معناه: إن من نجا من فتنة البدع، وفتنة السلطان فقد نجا من الشرّ كلّه...»[٣].

فعلى المسلم اجتناب الشاذ من أقوال أهل العلم مهما بلغ علمهم وعليه أن يتبع المشهور الذي عليه جماعتهم، قال الدارمي ـ وقد تقدم ـ: «إن الذي يريد الشذوذ عن الحق، يتبع الشاذ من قول العلماء، والتعلق بزلاتهم، والذي يؤم الحق في نفسه، يتبع المشهور من قول جماعتهم، وينقلب مع جمهورهم، فهما آيتان بينتان، يستدل بهما على اتباع الرجل وعلى ابتداعه»[٤].

---

(١) أخرجه ابن المقرئ في معجمه (١٢٠٥)، و ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (ص١٦٥ - ١٦٦)، ط. ١٣٩٨، ن. دار الباز. وأخرجه الدِّينوري في المجالسة وجواهر العلم من قول إبراهيم بن أدهم، وفيه: «وهل أهلك» بدل «بَدَّل».

(٢) الموافقات (٣/ ٣١٨).

(٣) مجموع الفتاوى (١٤/ ٤٩٤).

(٤) الرد على الجهمية، ص(١٢٩).

وفي حال الاختلاف زمن الفتن على الإنسان أن يأخذ ما يعرف ويدع ما ينكر، كما قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، عن رسول الله ﷺ، قال: «**كيف أنت إذا بقيت في حثالة من الناس؟**» قال: يا رسول الله كيف ذلك ؟ قال: «**إذا مرجت عهودهم وأماناتهم، وكانوا هكذا**» وشبَّك يونس بين أصابعه، يصف ذاك. قال: قلت: ما أصنع عند ذاك يا رسول الله؟ قال: «**اتق الله عز وجل، وخذ ما تَعْرِفُ، ودع ما تنكر، وعليك بخاصتك، وإياك وعَوَامَّهُم**»(١).

والغرض من التحذير من زيغة العالم وزلَّتِه هو عدم اتباعه في هذه الزلَّة أو الاحتجاج بها، إذ الحجة في قول الله وقول رسوله ﷺ، وإليهما ترد موارد النزاع، ولا يكون ذلك سببًا في الطعن فيه، أو النيل من عرضه، فإن هذا لا يجوز، ولكن تلتمس له المعاذير في تلك الزلّة ولا يتابع على خطئه، وكل يؤخذ من قوله ويرد إلّا رسول الله ﷺ. فالحذر من الطعن في العلماء والتنقص من قدرهم وإن أخطؤوا، فهم العصمة للأمة بفضل الله تعالى، وهم سفينة النجاة مَن تخلف عنها غرق في أوحال الشبهات والفتن كما تقدم.

قال معاذ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «العالم إذا اهتدى فلا تقلِّدوه دينكم، وإن افتتن

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢٠٧٤١) ـ واللفظ له ـ وأحمد (٢/ ١٦٢)، وأبو داود بنحوه في الفتن والملاحم (ح: ٤٣٤٢)، وأصله في البخاري معلقًا (٤٨٠)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٠٦).

فلا تقطعوا منه أناتكم، فإن المؤمن يفتتن ثم يتوب»[١].

وليس من القدح في العلماء التنبيه على أخطائهم، وعدم اتباعهم عليها فهذا من النصيحة لهم، ولعامة المسلمين، كما قال ﷺ: «**الدين النصيحة**» قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[٢]. أما الوقيعة في العلماء واستنقاصهم وتتبع عوراتهم فإن هذا باب هلكة وسبيل ضلال، وقد قال الحافظ ابن عساكر رحمه الله: «إن لحوم العلماء ـ رحمة الله عليهم ـ مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة؛ لأن الوقيعة فيهم بما هم منه براء أمره عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم، والاختلاق على من اختاره الله منهم لِنَعْش العلم خُلُق ذميم، والاقتداء بما مدح الله به قول المتبعين من الاستغفار لمن سبقهم وصف كريم»[٣] قال: «ومن أطلق لسانه في العلماء بالثلب بلاه الله عز وجل قبل موته بموت القلب»[٤].

ولذلك قال ﷺ: «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته**»[٥].

---

(١) أخرجه وكيع في الزهد (ح: ٦٩) وأبو داود في الزهد (ح: ١٨٣) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (ص٤٤١).

(٢) أخرجه مسلم من حديث تميم الداري في كتاب الإيمان باب: بيان أن الدين النصيحة (ح٥٥) (١/ ٧٤)، وذكره البخاري تعليقًا في آخر كتاب الإيمان.

(٣) تبيين كذب المفتري (ص٢٩).

(٤) المصدر نفسه (ص٤٢٥).

(٥) أخرجه أبو داود في الأدب، باب في الغيبة ح: ٤٨٨٠ وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣/ ٩٢٣).

وهذا الوعيد في عموم المسلمين، أما العلماء والصالحون فالوقوع بهم أقبح، وهو علامة على النفاق ومعاداة الله ومحاربته؛ لأن الله تعالى قال: «**من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب...**»(١).

قال بعض السلف ـ ونسب لأبي حنيفة والشافعي ـ: «إن لم تكن العلماء أولياء الله فليس لله ولي»(٢).

كما أن الحق يجب أن يُقبل ممن قاله أيًا كان، وأن الباطل يجب أن يُرد على مَن قاله أيًا كان، فانظر إلى ما قال لا إلى مَن قال، وقد ذم الله تعالى مَن يرد الحق إذا جاء به من يُبْغضه، ويقبله إذا قاله مَن يحبه، فهذا خُلق الأمة الغضبية، قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اقبل الحق ممن قاله وإن كان بغيضًا، ورد الباطل على مَن قاله وإن كان حبيبًا»(٣). فالحق لا يعرف بالرجال، بل الرجال يعرفون به.

ونظرًا لأهمية دور العلماء في وأد الفتنة فقد قام دعاة الفتنة المغرضين بالتفنن في الوسائل المؤدية إلى إسقاط هيبة العلماء، ومن ثم إسقاط مرجعيتهم وفقد الثقة بهم حتى يزهد الناس فيهم، فلا يتلقون منهم ولا يقبلون بهم؛ بدعاوى كثيرة منها: أنهم لا يفهمون الواقع، أو اتهامهم بالجمود والرجعية والتخلّف، أو اتهامهم بأنهم علماء سوء وسلطة ومداهنة. أو أنهم واقعون تحت ضغوط الواقع، أو غير ذلك من الدعاوى

---

(١) أخرجه البخاري في الرقاق، باب التواضع، ح: ٦٥٠١.

(٢) كشف الخفاء ومزيل الإلباس (١/ ٢٥٩).

(٣) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن (ح: ٣٣) وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٣٤).

حتى ينجفل الناس عنهم، ويتعلّقون بغيرهم من الأدعياء والمغرضين.

كما يجب على العلماء وطلبة العلم ألا يكونوا فتنة للذين آمنوا، وذلك بتقصيرهم في هذا الواجب، والميثاق الذي أخذه الله عليهم: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧] أو بالتخلي عن رسالتهم ودورهم القيادي للأمة بنور من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، ولا شك أن هذه من أعظم أسباب الفتن، نسأل الله العافية والسلامة. قال ابن الوزير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لو أن العلماء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ تركوا الذَّبّ عن الحق خوفًا من كلام الخلق لكانوا قد أضاعوا كثيرًا، وخافوا حقيرًا»[١].

كما يجب على العلماء أن يكونوا (ربانيين) كما أمرهم الله. لا (أربابًا) كما حذَّرهم الله. قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [التوبة: ٣١]، وهم الذين يحلّون ما حرّم الله ويحرّمون ما أحل الله كما بيّن ذلك النبي ﷺ في حديث عدي بن حاتم[٢]. قال ابن كثير: «فالجهلة من الأحبار والرهبان، ومشايخ الضلال يدخلون في هذا الذم والتوبيخ، بخلاف الرسل وأتباعهم من العلماء العاملين فإنما يأمرون بما أمر الله، وبلَّغتهم إياه رسله الكرام، وإنما ينهون عما نهاهم الله عنه، وبلَّغتهم إياه رسله

---

(١) الروض الباسم (١/ ١٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠٩٥) واستغربه، وابن جرير (١٠/ ٨٠- ٨١)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١١٦). وله شاهد من حديث حذيفة موقوفًا. وحسّنه ابن تيمية في الإيمان (ص٦٤).

الكرام...»[(١)].

حاجة الأمة إلى العلماء الربانيين:

وعلى كل فوجود العلماء الربانيين والرجوع إليهم من الضرورات الملحّة التي لا تستغني عنها الأمة، ويظهر ذلك من خلال:

١- بقاء العلم حيًّا، يتلقاه الناس عنهم ويتدارسونه معهم، وهذا يختلف عن العلم الذي في بطون الكتب، وهذا ما أشارت إليه الآية في قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

٢- ضرورة وجود القدوة لغيره من طلبة العلم والعلماء، وللناس كافة، ممن يعيش معهم، ويعيش واقعهم لكنه يمشي بنور من الله، وبصيرة من ربه على علم صحيح ومنهج سليم، وحكمة ودراية رشيدة.

٣- حماية الدين وحراسته بالذبّ عنه من خلال رد شبهات المشككين والطاعنين. كما قال ﷺ: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**»[(٢)].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٦٦).

(٢) أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث (ص٢٩)، والآجري في الشريعة ح: ١ (١/ ١٥٧)، وابن عدي في الكامل (١/ ١٥٣)، وابن نصر في الإبانة وأبو نعيم وابن عساكر كما في الجامع للسيوطي (١/ ٩٩٥) كلهم عن إبراهيم بن عبد الرحمن مرسلًا. وورد الحديث من طُرق أخرى مرفوعة عن ابن عمر، وأبي هريرة، وابن مسعود، وأسامة بن زيد، ومعاذ بن جبل، وأبي أمامة، وعلي بن أبي طالب. كشف الأستار =

٤- الرجوع إليهم في الاستفتاء، كما قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣، الأنبياء: ٧]، وقال ﷺ: «**إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم**»(١).

٥- الرجوع إليهم عند التنازع والاختلاف سواء كان بين العلماء أو طلبة العلم، أو مع الولاة والحكام أو بين عموم الناس كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] وأهل الفقه والاستنباط هم العلماء الربانيون، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] والرد إلى الله تعالى وإلى الرسول هو الرد إلى الكتاب والسنة. ولا يفقه ويملك آلة الاستنباط ومعرفة مراد الله تعالى ورسوله إلا أهل العلم والحكمة والفقه، وهم العلماء الربانيون، ويتأكد هذا الرجوع في حال الفتن والاضطرابات، واختلاط الأمور وعدم التمييز بينها، فهم قادة الأمة وقدوتها.

= (١/ ١-٨). وقد صححه الإمام في رواية مهنا. شرف أصحاب الحديث (ص٢٩)، وأشار الحافظ ابن حجر إلى الإرسال وتعدد الطرق، وضعفها عند ابن عدي. الإصابة (١١/ ١٩٢)، وكذلك الألباني، وذكر أن العلائي صحح بعض طرقه في (بغية الملتمس). انظر تعليقه على مشكاة المصابيح (١/ ٨٣، ٨٣.

(١) أخرجه مسلم في المقدمة (ح: ٢٦) (ص١٠) عن ابن سيرين. وروي مرفوعًا ـ ولا يصح ـ عن أبي هريرة عند السجزي والديلمي والحاكم، وعن أنس عند ابن عدي والحاكم. ينظر: فيض القدير (٢/ ٦٤٦) وكنز العمال (١٠/ ٢٤٠).

٦ - كما أن وجودهم ضرورة للمجتمع والأمة من أجل الاجتهاد الشرعي في النوازل المستجدة، التي يحتاج المسلمون فيها إلى بيان الحكم الشرعي المبني على الاجتهاد المنضبط المؤصل من أهله. ولا يترك الأمر إلى المتفيهقين والجهلة، أو إلى أصحاب الأهواء والتوجهات المنحرفة.

* المبحث الخامس: لزوم التَّأَنِي والتُّؤَدَة والثَّبَات:

نظرًا لما أشرنا إليه سابقًا؛ من أن في الفتن تزيغ القلوب، وتضعف العقول، وقد يصاحب ذلك ـ بل كثيرًا ما يصاحب ذلك ـ صور من الاستفزاز ودواعي التعجل، ويتردد على المسامع: لا تكن مع القاعدين! ولا مع الخوالف والمخذلين! وكن من السابقين! وقد يُسمَّع قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ﴾ [الحديد: ١٠] ونحوها من الآيات، إلا أنه يجب على المسلم في مثل هذه الفتن والأمور المضطربة أن يلزم التأني والحِلْم والرِّفق وعدم التعجل، ومفارقة الطيش والتهوُّر، وضرورة التثبت والتبصر في الأمور، قال الله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾[1] [الروم: ٦٠]، وقال تعالى عن فرعون وملئه: ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا

---

(١) روى الطبري بإسناده عن علي بن ربيعة أن رجلًا من الخوارج قرأ خلف علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ وهو في صلاة الفجر ـ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾، فأجابه علي وهو في الصلاة، فقرأ: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾. التفسير (٢١/ ٥٩).

فَٰسِقِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٥- ٤٦]. فلابد للعاقل من التريُّث والتثبت، والتأني والتبصر في عواقب الأمور.

وقد رُوي: «إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات، ويحب العقل الكامل عند ورود الشهوات»(١).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾ [النساء: ٨٣]، قال ابن كثير: «في هذه الآية إنكار على من يبادر إلى الأمور قبل تحققها؛ فيخبر بها ويفشيها وينشرها، وقد لا يكون لها صحة»(٢).

ولذا كان من دعائه ﷺ المأثور: «**اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد...**»(٣)، قال ابن القيم: «وهاتان الكلمتان هما جماع الفلاح، وما أُتي العبد إلا من تضييعهما أو تضييع إحداهما، فما أُتي أحد إلا من باب العجلة والطيش واستفزاز البداءات له، أو من باب التهاون والتماوت وتضييع الفرصة بعد مواتاتها، فإذا حصل الثبات

---

(١) رواه البيهقي مرسلًا. مجموع الفتاوى (٧/ ٥٤٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٦٦).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٢٣، ١٢٥)، والترمذي في الدعوات، باب (٢٣)، والنسائي في صفة الصلاة (ح: ١٣٠٤)، وصححه الألباني بمجموع طرقه في الصحيحة (ح: ٣٢٢٨).

أولًا، والعزيمة ثانيًا أفلح كل الفلاح، والله ولي التوفيق»(١).

ولهذا جاء الأمر الصريح من النبي ﷺ بالثبات عند ورود الفتن فقال: «**لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال... يا عباد الله، فاثبتوا، فإني سأصفه لكم صفة لم يصفها قبلي نبي...**»(٢) وذكر الحديث.

كما جاء التوجيه النبوي الصريح بعدم التعجّل، والنهي عن المسارعة إليها، كما في حديث أبي هريرة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ستكون فتن؛ القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ومن تشرَّف لها تستشرفه، فمن وجد فيها ملجأً أو معاذًا فليعذ به**»(٣).

وقد امتدح النبي ﷺ أشج عبد القيس بقوله: «**إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة**»(٤).

وقال ﷺ: «**ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا**

---

(١) مفتاح دار السعادة (ص١٦٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن. باب فتنة الدجال (ح: ٤٠٧٧) (٢/ ١٣٥٩) وصححه الألباني في الصحيحة (٢٤٥٧) وصحيح الجامع (٧٧٥٢).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الفتن. باب: تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ح: ٧٠٨١ (ص١٢٢٠) ط. دار السلام.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله (١٧). من حديث: ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

شانه»[1]. وقال ﷺ: «**إن الله يحب الرفق في الأمر كله**»[2].

كما امتدح عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الروم لما ذكر له حديث النبي ﷺ: «**تقوم الساعة والروم أكثر الناس**» قال: «**إن فيهم لخصالًا أربعًا؛ إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة..**» وذكر الحديث[3].

ومن الأمثلة العملية للنظر في عواقب الأمور: ما كان من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما جاءه رجل في آخر حجة حجها وهو في منى فقال له: يا أمير المؤمنين هل لك في فلان يقول: لو قد مات عمر لقد بايعت فلانًا؟ فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فَتَمَّتْ، فغضب عمر، ثم قال: إني ـ إن شاء الله ـ لقائم العشية في الناس فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم. فقال عبد الرحمن ـ يعني ابن عوف ـ فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يُطِيرُها عنك كل مُطِير[4]، وأن لا يَعُوها، وأن لا يضعوها على مواضعها، فأمهل حتى

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب: فضل الرفق (٢٥٩٤). من حديث: عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: الرفق في الأمر كله (٦٠٢٤)، ومسلم في كتاب السلام، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام (٢١٦٥). من حديث: عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: تقوم الساعة والروم أكثر الناس (ح: ٧٣٧٩) (ص١٢٥٤) ط. دار السلام.

(٤) كما هو الحال في وسائل التواصل الاجتماعي الإلكتروني الحديث.

تقدم المدينة، فإنها دار الهجرة والسنة، فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس فتقول ما قلت متمكنًا، فيعي أهل العلم مقالتك، ويضعوها على مواضعها، فقال عمر: «والله ـ إن شاء الله ـ لأقومَنَّ بذلك أول مقام أقومه بالمدينة...»(١).

فرضي الله تعالى عن صحابة رسوله ﷺ، ما أفقههم وأحكمهم؛ فليس كل ما عُلِم يقال، ولا كلّ ما يقال حضر أهله، ولا كل ما حضر أهله حان وقته. وكذلك كان من أمير المؤمنين عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لما حُوصر مظلومًا، فجاء الصحابة يريدون الدفاع عنه؛ كعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وأبي هريرة، فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أقسم على من لي عليه حق، أن يكفّ يده، وأن ينطلق إلى منزله»(٢). فلو تركهم لمنعوه، ولدافعوا عنه، لكنه نظر إلى عاقبة الأمر، وأنه ربما ترتَّب على ذلك سفك دماء؛ فاختار أن يكون خير ابني آدم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وعمل بالوصية الخاصة له من رسول الله ﷺ لما أبى عليهم خلع نفسه(٣)، فجمع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الحسنيين؛ الثبات والشهادة.

كما أن على العاقل في مثل هذه الأحوال استحضار الأحاديث

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام، باب: ما ذكر النبي ﷺ وحض على اتفاق أهل العلم (ح: ٧٣٢٣) (ص١٢٦) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. ط. دار السلام.

(٢) ينظر: البداية والنهاية (٧/ ٢٠٣)

(٣) كما في حديث عائشة قالت: جاء عثمان فأقبل عليه ـ تعني رسول الله ﷺ ـ بوجهه فسمعته يقول: «**يا عثمان إن الله تعالى لعله يقمصك قميصًا، فإن أرادوك على خلعه فلا تفعل**». أخرجه ابن عاصم في السنة (ح: ١١٧٢) (٢/ ٥٥٩) وابن حبان (ح: ٢١٩٦) وغيرهما. وصححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة (ح: ١١٧٢).

الواردة في الحث على الحلم والأناة والرفق، فالناس في مثل هذه الأحوال أحوج ما يكونون إليها.

ومن الآثار الواردة في هذا الموضوع على وجه الخصوص ما ورد عن سفيان الثوري لما سأله حفص بن غياث قال: يا أبا عبد الله؛ إن الناس قد أكثروا في المهدي فما تقول فيه؟ قال: «إن مرّ على بابك فلا تك في شيء منه حتى يجتمع الناس عليه»(١).

ولما وقعت فتنة ابن الأشعث، وخرج معه القراء والمفسرون على الحجاج، جاء رجل إلى مجاهد بن جَبْر الإمام المفسِّر، يستفزُّه ويستنفِرُه، قال له مجاهد: «عُدَّه بابًا من الخير تَـخَلَّفْتُ عنه»(٢). فأبى أن يطاوعه، وذلك لأن الخطأ في العفو خير من الخطإ في العقوبة، والأخذ بالاحتياط أولى.

قال الحافظ ابن حجر: «الاحتياط لطلب السلامة آكد من الطمع في الزيادة»(٣)، والأخذ بالاحتياط أصل من أصول الشريعة الغرَّاء.

والعجلة في ابتداء الفتن والخوض فيها من بداياتها: هي أمّ الندامات، ولذا قال قتادة بن دعامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قد رأينا ـ والله ـ أقوامًا يسرعون إلى الفتنة، وينزعون فيها، وأمسك أقوام عن ذلك هيبة لله ومخافة منه، فلما انكشفت إذ الذين أمسكوا أطيب نفسًا، وأثلج صدرًا،

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/ ٣١).

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٧/ ٣٩).

(٣) فتح الباري (٥/ ١١٣).

وأخف ظهورًا من الذين أسرعوا إليها...»[1].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في المتعجل عند ورود الشبهة والفتنة: «هذا دليل ضعف عقله ومعرفته إذ تؤثر فيه البداءات، ويستفز بأوائل الأمور، بخلاف الثابت التام العقل فإنه لا تستفزه البداءات، ولا تزعجه وتقلقه، فإن الباطل له دهشة وروعة في أوله، فإذا ثبت له القلب رُدَّ على عقبيه، والله يحبُّ من عنده العلم والأناة فلا يعجل، بل يثبت حتى يعلم ويستيقن ما ورد عليه، ولا يعجل بأمر من قبل استحكامه، فالعجلة والطيش من الشيطان، فمن ثبت عند صدمة البداءات استقبل أمره بعلم وحزم، ومن لم يثبت لها؛ استقبله بعجلة وطيش، وعاقبته الندامة، وعاقبة الأول حمد أمره...»[2].

*** المبحث السادس: لزوم الصبر والمصابرة:**

والفتن من حِكَم وقوعها اختبار الصبر والثبات، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠].

وقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٠].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٣٧).

(٢) مفتاح دار السعادة (ص١٦٩).

وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

فهذه أربعة أسباب موجبة لموعود الله تعالى بالفلاح، لمن أتى بهن؛ وهن: الصبر والمصابرة، والمرابطة والتقوى، فإذا حققها العبد تحقق له موعود الله بالفلاح.

وقال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٧٥].

وقال ﷺ: «**إن من ورائكم أيامًا، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن أجر خمسين يعملون مثل عملكم**» قالوا: يا رسول الله أجر خمسين رجلاً منَّا أو منهم؟ قال: «**لا، بل أجر خمسين رجلاً منكم**»(١).

وكما في حديث سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كان يأمرنا ﷺ إذا فزعنا بالجماعة والصبر والسكينة، وإذا قاتلنا»(٢).

---

(١) أخرجه ابن ماجه في الفتن، باب: قوله تعالى: ﴿ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ﴾ (٤٠١٤). من حديث: أبي ثعلبة الخشني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأبو داود في كتاب الملاحم، باب: في الأمر والنهي (٤٣٤١)، والترمذي في تفسير القرآن (٣٠٥٨)، واللفظ له. وصححه الألباني في الصحيحة (٤٩٤).

(٢) أخرجه أبو داود في الجهاد، باب: في النداء عند النفير (٢٥٦٠)، والبزار في مسنده =

وفي حديث المقداد بن الأسود أن النبي ﷺ قال: «**إن السعيد لمن جُنِّب الفتن، ولمن ابتلي فصبر فواهًا**[١]»[٢].

وتقدم قول أبي مسعود البدري: «واصبروا حتى يستريح برٌّ، ويستراح من فاجرٍ»[٣].

فأعظم سلاح في أيام الفتن والمحن هو الصبر: فهو تربية للنفوس وإعدادها لكي لا تطير شعاعًا عند كل نازلة، ولا تذهب مع كل فاجعة، ولا تنهار جزعًا عند كل شدة. كما قال بعضهم: «الأمر أمران: أمر فيه حيلة فلا تعجز عنه، وأمر لا حيلة فيه فلا تجزع منه، وما زال أئمة الهدى من الشيوخ وغيرهم يوصون الإنسان بأن يفعل المأمور، ويترك المحظور ويصبر على المقدور»[٤].

فبالصبر يظهر الفرق بين ذوي العزائم والهمم وبين ذوي الجبن والضعف، ولذلك وَعَى السلف الصالح أهمية الصبر عند وقوع الفتن

= (٤٦٧٣)، والطبراني في الكبير (٧/ ٢٦٩). وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٥٥١).

(١) ومعنى: «فواهًا»: التلهف، وقد توضع موضع الإعجاب بالشيء يقول: واهًا له... ينظر: النهاية (٥/ ١٤٤)، ولعل المراد كلا الوجهين: التلهف والتحسر على من باشر الفتنة، أو الإعجاب بمن اعتزلها واجتنبها وسلم منها.

(٢) أخرجه أبو داود في الفتن، باب: النهي عن السعي في الفتنة (٤٢٦٣)، والبزار (٢١١٢)، والطبراني في الكبير (٢٠/ ٢٥٢-٢٥٣). وصححه الألباني في الصحيحة (٩٧٥).

(٣) تقدم تخريجه (ص).

(٤) مجموع الفتاوى (٨/ ٣٢٠).

والحوادث وإليك نماذج من سيرهم:

لما كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يعذَّبون ويُفْتَنون في صدر الإسلام بمكة كان يمر بهم النبي ﷺ ويُذَكِّرهم بالصبر، ومنهم آل ياسر، فإذا مر بهم قال: «**صبرًا آل ياسر، موعدكم الجنة**»[1].

وعن الزبير بن عدي قال: دخلنا على أنس بن مالك، فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج، فقال: «اصبروا، لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شرّ منه، حتى تلقوا ربكم، سمعت هذا من نبيكم»[2].

وعن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «إنه لم يبق من الدنيا إلا بلاء وفتن، فأعدوا للبلاء صبرًا»[3].

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (١/ ٢٠٣) بلاغًا. ووصله الحاكم (٣/ ٣٨٨-٣٨٩) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والطبراني في الكبير (١٨/ ٤٠). من حديث: عثمان بن عفان ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ. وقد نَبَّه الدارقطني في العلل (٣/ ٣٩) على أن رواية عبد الله بن الحارث عن عثمان ـ وهي في كبير الطبراني ـ الصحيح أنها عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم». ووافقه الذهبي. وقال الألباني في فقه السيرة، (ص١٠٣): «حسن صحيح».

(٢) أخرجه البخاري في الفتن، باب: لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه (٧٠٦٨).

(٣) هذا الأثر ورد مرفوعًا وموقوفًا؛ أما المرفوع فرواه ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٧/ ٢٦٨). وأبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (١/ ١٨٣). كما ورد مرفوعًا وليس فيه: «فأعدُّوا للبلاء صبرًا» عند نعيم بن حماد في الفتن (١/ ٤٠) وأحمد في المسند (١٦٨٥٣) وابن ماجه في السنن (٤٠٣٥) وابن حبان في صحيحه (٦٩٠) والطبراني في الكبير (٨٦٦)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٤٠٣٥). =

وعندما واجه إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ الفتنة العمياء بخلق القرآن في أيام المأمون ثم المعتصم ثم الواثق، وما أصابه من الحبس الطويل والضرب الشديد، صبر وتمسك بما كان عليه من الدين القويم والصراط المستقيم حتى نصره الله، وفرَّج عنه وعن المسلمين الغمة.

ولهذا فإنه «ليس لمن قد فُتن بفتنةٍ دواءٌ مثل الصبر، فإن صبر كانت الفتنة ممحصة له ومخلِّصة من الذنوب، كما يخلِّص الكيرُ خبثَ الذهب والفضة»(١).

«فمن صبر عليها كانت رحمة في حقه، ونجا بصبره من فتنة أعظم منها، ومن لم يصبر عليها وقع في فتنة أشد منها»(٢).

وجماع ذلك أنه لابد له في الأمر من أصلين: ولابد له في القدر من أصلين: «ففي الأمر عليه الاجتهاد في الامتثال علمًا وعملًا، فلا تزال تجتهد في العلم بما أمر الله به، والعمل بذلك. ثم عليه أن يستغفر ويتوب من تفريطه في المأمور وتعديه الحدود...

وأما في القدر فعليه أن يستعين الله في فعل ما أمر به، ويتوكل عليه ويدعوه، ويرغب إليه ويستعيذ به، ويكون مفتقرًا إليه في طلب الخير وترك الشر. وعليه أن يصبر على المقدور، ويعلم أن ما أصابه لم يكن

= وأما الموقوف على معاوية فعند الدولابي في الكنى والأسماء (٤/ ١٧١) وعند ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٢/ ١٢٩).

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ١٦٢).

(٢) المصدر نفسه.

ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وإذا آذاه الناس علم أن ذلك مقدر عليه»[١].

وفي الحديث المشهور الذي رواه أبو بكر عن النبي ﷺ أنه قال: «**سلوا الله العافية؛ فما أعطي أحد بعد اليقين شيئًا خيرًا من العافية**»[٢]. «فأهل اليقين إذا ابتلوا ثبتوا؛ بخلاف غيرهم فإن الابتلاء قد يذهب إيمانه أو ينقصه قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤] ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] فهذا حال هؤلاء»[٣].

وكان العلماء يصبّرون بعضهم على الثبات في المحن والشدائد ويشدون في عزائم بعضهم. فهذا أبو جعفر الأنباري رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «لما حمل أحمد إلى المأمون، أُخْبرت؛ فعبرت الفرات؛ فإذا هو جالس في الخان؛ فسلَّمت عليه فقال: يا أبا جعفر: تَعَنَّيْت. فقلت: يا هذا؛ أنت اليوم رأس، والناس يقتدون بك، فوالله لئن أجبت إلى خلق القرآن ليجيبن خلق من الناس كثير، ومع هذا فإن الرجل إذا لم يقتلك فإنك تموت، لابد من الموت، فاتق الله ولا تجب، فجعل أحمد يبكي ويقول: ما شاء الله، ثم قال: يا أبا جعفر أعد عليَّ، فأعدت عليه وهو يقول: ما

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٢١- ١٢٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (ح: ٥، ٦، ١٧، ٤٦) والترمذي (ح: ٣٥٥٨) وقال: حسن غريب من هذا الوجه عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في صحيح الجامع (ح: ٣٥٢٦).

(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٣٠).

شاء الله»[١]. والأخبار في هذا المعنى كثيرة.

*** المبحث السابع: كَفُّ اليد واللسان، وملازمة البيت عند ورود المقتضى:**

كما ورد في حديث ابن مسعود: أن النبي ﷺ عندما ذكر الفتن قال: «**تلك أيام الهرج حيث لا يأمن الرجل جليسه**» قلت: فما تأمرني يا رسول الله إن أدركني ذلك الزمان؟ قال: «**تكف لسانك ويدَك، وتكن حِلْسًا من أحلاس بيتك**»[٢].

وروي عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «**تكون فتنة تستنظف العرب، قتلاها في النار، اللسان فيها أشد من وقع السيف**»[٣].

قال القرطبي: «إما بالكذب عند أئمة الجور، وإما نقل الأخبار إليهم»[٤].

وفي حديث أبي هريرة: «**تكون فتنة صماء بكماء عمياء، من أشرف لها استشرفت له، وإشراف اللسان فيها كوقع السيف**»[٥].

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥/ ٣١٢). وينظر: سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٣٩).

(٢) أخرجه أبو داود في الفتن، باب: النهي عن السعي في الفتنة (٤٢٥٨). وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٩١٥).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٢١٢)، وابن ماجه في الفتن، باب: كف اللسان في الفتنة (٣٩٦٧)، والترمذي في الفتن (٢١٧٨) من حديث: عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
قال الترمذي: هذا حديث غريب. وضعفه الألباني في الضعيفة (٣٢٢٩).

(٤) التذكرة (٢/ ٢٤٩).

(٥) أخرجه أبو داود في الفتن، باب: في كفِّ اللسان (٤٢٦٤). وضعفه الألباني في =

وهذه الأحاديث تبين خطورة اللسان ودوره في إشعال الفتن.

وذلك يشمل اللسان المنطوق واللسان المكتوب، ومعروف ما للخطب الحماسية والقصائد والأشعار الملهبة للمشاعر والمقالات من أثر فعَّال في إثارة الفتن.

وكذلك ما يحصل الآن في وسائل الإعلام والاتصال الحديثة من تحليلات، وتقارير، وصور، وتعليقات، وغيرها من الوسائل المؤثرة، والتفنن في وسائل التأثير المباشر وغير المباشر على الرأي العام سواء بحق أو بباطل.

وقديمًا قال الشاعر:

وإنّ النارَ بالعودين تُذْكى   وإن الحرْبَ أَوَّلُها الكلام[(١)]

بل قد يصل الأمر إلى الإمساك عن ذكر بعض الأحاديث النبوية، إذا ترتب عليها مفسدة، أو خُشِيَ أن تُفهم على غير المراد منها؛ كما قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»[(٢)]. وقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يُكَذَّب الله ورسوله»[(٣)].

= الضعيفة (٢٤٧٩) وشطره الأول في الصحيح كما تقدم مرارًا.

(١) البيت لنصر بن سيار. ينظر: الأغاني (٧/ ٦٧) لأبي الفرج الأصفهاني، والبيان والتبيين (ص٩٧) للجاحظ.

(٢) أخرجه مسلم في المقدمة: (١٤).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب: من خص بالعلم قومًا دون قوم (١٢٧).

وبوب له البخاري: باب من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا.

وعدَّ النبي ﷺ تحديث المرء بكل ما سمع من الكذب، فقال ﷺ: «**كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع**»[١].

وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «بحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع»[٢]، ومثله عبد الله بن مسعود[٣] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال مالك: «اعلم أنه ليس يسلم رجل حدَّث بكل ما سمع، ولا يكون إمامًا ـ أبدًا ـ وهو يحدث بكل ما سمع»[٤].

ولذلك جاز لأبي هريرة أن لا يحدث الناس، بما قد يعود عليهم بنقيض مقصود العلم، ومما لا يترتب عليه شيء من أحكام الدين، فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حفظت من رسول الله ﷺ وعائين فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم»[٥]. وذكر العلماء أن المراد ما يقع من الفتن[٦] وتسمية بعض أهلها.

كما أنكر الحسن على أنس تحديثه الحجاج بقصة العُرَنيين؛ لأنه

---

(١) أخرجه مسلم في المقدمة، باب: النهي عن الحديث بكل ما سمع (٥). من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم في المقدمة (٩).

(٣) المصدر نفسه (١١).

(٤) المصدر نفسه (١٠). ونحوه عبد الرحمن بن مهدي. مقدمة مسلم (١٢).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب: حفظ العلم (١١٧).

(٦) ينظر: فتح الباري (١/ ٢٦٢ و٢٧٢).

اتخذها وسيلة لما كان يتعمده من سفك الدماء، ولذلك قال العلماء الحكماء: «ليس كُلُّ ما علم يقال، ولا كل ما يقال: حضر أهله، ولا كل ما حضر أهله حان وقته» ـ كما تقدم ـ. فلابد من مراعاة مقتضى الحال، وخاصة في زمن الفتن والقلاقل، وأن يختار المتحدث ما يناسب المقام وما يحتاج إليه الناس.

ويجتهد في التورع عن كلام يضر ولا ينفع، قال الفضيل رَحِمَهُ اللَّهُ: «أشد الورع في اللسان»(١)، وعلَّق على ذلك الذهبي فقال: «وهكذا هو، فقد ترى الرجل وَرِعًا في مأكله وملبسه ومشربه ومعاملته، وإذا تحدَّث يدخل عليه الدخل من حديثه»(٢)، والله المستعان.

*** المبحث الثامن: التثبت في نقل الأخبار، وعدم الالتفات إلى الشائعات:**

ومثل هذه يكثر رواجها في زمن الفتن، وفي عصرنا تهيأت الوسائل لإشاعتها فتطير في لحظات، وتبلغ الآفاق عن طريق وسائل الاتصال الحديثة.

وقد أمر الله تبارك وتعالى بالتثبت من الأنباء في الأيام العادية، فكيف بأيام الفتن! فالتثبت أحوج ما يكون إليه المسلم، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٩١).

(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٣٤).

وليعلم أن سيما أهل الإيمان قول الخير أو الصمت، كما قال ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**»(١). و«**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»(٢).

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «قل خيرًا تغنم، واسكت عن شرّ تسلم، من قبل أن تندم»(٣).

أما من تُنقل إليه الإشاعة فالواجب عليه بعد التثبت من مصدرها أن يستشير أهل العلم والفضل قبل ترويجها والتحدث بها، فقد تكون المصلحة في عدم إشاعتها ولو كانت صحيحة، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [النساء: ٨٣].

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا تأديب من الله

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره (٦٠١٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: الحث على إكرام الضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير (١٧٤). من حديث: أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٢٣٥٢)، وعبد الرزاق في المصنف (٢٠٦١٧)، وأحمد في المسند (١٧٣٢)، وابن ماجه (٣٩٧٦)، والترمذي (٢٣١٧) وغيرهم. وهو حديث مرسل كما صرّح بذلك البخاري في الكبير والترمذي في السنن (٢٣١٨)، والعقيلي في الضعفاء (٢/ ٩)، والدارقطني في العلل (٣/ ١١٠).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في الزهد (ح: ١٠٣٣) (ص١٨٨)، والطبراني في الكبير (٩/ ٤٥) (ح: ١٠٢٩٤)، والبيهقي في الشعب (ح: ٤٥٩٠) (٧/ ١٩).

تعالى لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق، وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة، والمصالح العامة أن يتثبتوا، ولا يتعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردُّه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، وأهل الرأي والعلم والنصح، والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور، ويعرفون المصالح وضدها، فإذا رأوا في إذاعته مصلحة، ونشاطًا للمؤمنين، وسرورًا لهم، وتحرزًا من أعدائهم؛ فعلوا ذلك، وإن لم يروا فيه مصلحة، أو فيه مصلحة لكن مضرته تزيد على مصلحته لم يذيعوه»[1].

ويدخل في هذا المحذور ترويج الرؤى والمنامات والأخبار غير الموثقة، فإنها من موقدات الفتن وملهباتها، وكذلك القصائد الشعرية والخطابات الرنانة التي تشعل نار الفتنة ولا تطفئها.

ومن أبرز الأخطار والمضار المترتبة على مثل هذه الإشاعات:

١ ـ اتهام البريء بما ليس فيه، كما قال تعالى في حق عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ورميها بالإفك: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [النور: ١٥- ١٧].

٢ ـ إثارة الذعر والخوف في أوساط المؤمنين، وهذا مع ما قبله ديدن المنافقين، في كل زمان ومكان، ولهذا قال الله تعالى في حقهم: ﴿لَّوْ

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٢/ ١١٣- ١١٤) بتصرف يسير.

خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [التوبة: ٤٧].

ولعل خير علاج للإشاعات عند نقلها هو اطِّراحها، وعدم الاكتراث بها، ولذلك قال الإمام مسلم في مقدمة صحيحه: «إذ الإعراض عن القول المطرح أحرى لإماتته وإخماد ذكر قائله وأجدر ألا يكون ذلك تنبيهًا للجهال عليه»(١).

*** المبحث التاسع: مجانبة الفتن والاحتراز من أسبابها والفرار منها واعتزالها:**

وقد أمر النبي ﷺ بالفرار من الفتن، وحث على التَعرُّب إذا لم يكن المؤمن قادرًا على إطفائها، أو التخفيف من لأوائها، وخشي على نفسه، فقال ﷺ: «**يوشك أن يكون خير مال المسلم غنمٌ يتبع بها شَعَف الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن**»(٢). وبوّب عليه البخاري: باب: التعرّب في الفتنة(٣).

وقال ﷺ في حديث أبي بكرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**إنها ستكون فتن، ألا ثم تكون فتنة، القاعد فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي إليها، ألا فإذا نزلت أو وقعت، فمن كانت له إبل فليلحق بإبله، ومن**

(١) صحيح مسلم مع شرح النووي (١/ ١٢٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب: من الدِّين الفرار من الفتن (١٩). من حديث: أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) في كتاب الفتن (ص١٢٢١) ط. دار السلام.

كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت لـه أرض فليلحـق بأرضـه». قالوا: يا رسول الله، أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: «**يعمِدُ إلى سيفه فَيَدُقّ على حَدِّه بحجر، ثـم لِيَـنْجُ إن اسـتطاع النجـاء، اللهم هل بلغت؟**» ـ قالها ثلاثًا ـ. قال رجل: يا رسـول الله، أرأيـت إن أُكْرِهْتُ حتى يُنْطَلَق بي إلى أحد الصفين، أو إحـدى الفئتـين، فـضربني رجل بسيفه، أو يجيء سهم فيقتلني؟ قال: «**يبوء بإثمه وإثمك، ويكون من أصحاب النار**»[1].

وفي الأمر بـالخروج مـن أرض الفتنـة واعتزالهـا، مـا ورد عـن أبي هريرة ـ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ـ قال ﷺ: «**تكون فتنة، النائم فيها خير مـن اليقظـان، واليقظان خير من القائم، والقائم خير من الساعي، فمن وجد ملجأ أو معاذًا فليستعذ**»[2].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**كيف بكم وبزمان ـ أو: يوشك أن يأتي زمان ـ يغربل الناس فيـه غربلة، تبقى حثالة من الناس قد مرجـت عهـودهم، وخفـت أمانـاتهم واختلفوا فكانوا هكذا**». وشبّك بين أصابعه، فقالوا: كيف بنا يا رسول الله؟ قال: «**تأخذون ما تعرفون، وتذرون ما تنكرون، وتقبلون على أمـر**

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: نزول الفتن كمواقع القطر (٢٨٨٧)

(٢) أخرجه البخاري في الفتن، باب: تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم (٧٠٨٢)، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: نزول الفتن كمواقع القطر (٢٨٨٦)، واللفظ له.

خاصتكم، وتذرون أمر عامتكم»[١].

وفي حديث أبي ثعلبة الخشني حين سُئل عن قوله تعالى: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، فقال للسائل: لقد سألت عنها خبيرًا، سألت عنها رسول الله ﷺ، قال: «**بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحًا مطاعًا، وهوًى متبعًا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه؛ فعليك** ـ يعني: بنفسك ـ **ودع عنك العوام»**[٢].

وقد أمر النبي ﷺ من أدرك الدجال أن ينأى عنه، كما ورد في حديث عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «**من سمع بالدَّجَّال فلينأ عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن، فيتبعه مما يبعث من الشبهات، أو مما يبعث به من الشبهات»**[٣].

وفي حديث أم شريك: «**لَيَفِرَّنَّ الناس من الدجال في الجبال»**[٤].

لا أن يدفعه حب الاستطلاع والفضول أن يقول: سأنظر إليه وأعرف ما عنده!

---

(١) أخرجه أبو داود (ح: ٤٣٤٢) كتاب الملاحم، باب: الأمر والنهي (ص٦١٠) ط. دار السلام. وتقدم نحوه (ص؟؟؟) وتخريجه هناك.

(٢) أخرجه أبو داود (ح: ٤٣٤١) (ص٦١٠)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣/ ٨١٩).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٤٣١)، وأبو داود في السنن (ح: ٤٣١٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٣١) وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: في بقية من أحاديث الدجال (٢٩٤٥) (٤/ ٢٢٦٦).

وحدَّث عامر بن سعد أن سعد بن أبي وقاص ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ كان في إبله معتزلًا الفتن أيام قتال علي ومعاوية ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ فجاءه ابْنُهُ عمر؛ فلما رآه سعد قال: أعوذ بالله من شرّ هذا الراكب، فَنَزَل فقال له: أنزلت في إبلك وغنمك وتركت الناس يتنازعون في المُلْك بينهم؟ فضرب سعد في صدره فقال: اسكت، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يحب العبد التقيّ الغنيّ الخفيّ**»[١].

بل إن هذا كان موقف جمهور الصحابة رضوان الله عليهم، فقد اعتزلوا القتال في تلك الفتنة[٢]، ولذلك قال ابن سيرين بأصح الأسانيد: «هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرة آلاف، فما حضر فيها مئة، بل: لم يبلغوا ثلاثين»[٣].

وقال الشعبي: «لم يشهد الجمل من أصحاب النبي ﷺ غير علي وعمار وطلحة والزبير، فإن جاوزوا بخامس فأنا كذاب»[٤]. ويعني: من البدريين، كما جاء مفسرًا عنه عند الطبري في تاريخه (٣/ ٦) وإلا فقد شهد الجمل غير من ذكر منهم: عبد الله بن عباس، والحسن

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد. باب: الدنيا سجن المؤمن... (ح: ٧٤٣٢) (ص١٢٨٤) ط. دار السلام.

(٢) في ترجيح حال من أمسكوا عن الفتنة. يراجع مجموع الفتاوى (٣/ ٣٤٩) و(٤/ ٤٤١).

(٣) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب العلل ومعرفة الرجال لأبيه (٣/ ١٨٢) والخلال في السنة (٢/ ٤٦٦).

(٤) السنة للخلال (٢/ ٤٦٦).

والحسين، وسهل بن حنيف وعثمان بن حنيف وغيرهم.

ولذلك كان موقف الصحابة وأتباعهم واضحًا في اعتزال الفتن قدر المستطاع، قال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيما يرفعه إلى النبي ﷺ: «**لا تقربوا الفتنة إذا حميت، ولا تعرضوا لها إذا عرضت، واضربوا أهلها إذا أقبلت**»(١).

قال محمد بن الحنفية: «اتقوا هذه الفتن، فإنها لا يستشرف لها أحد إلا استبقته»(٢).

وقال النبي ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء**»(٣). وفي رواية: قيل: مَن الغرباء يا رسول الله؟ قال: «**الذين يصلحون عند فساد الناس**»(٤). وفي رواية: «**الذين يصلحون ما**

---

(١) أخرجه الطبراني مرفوعًا، كما في مجمع الزوائد (٧/ ٣٠٥)، وسكت عنه الهيثمي، وأخرج نحوه نعيم بن حماد في الفتن (١/ ١٤١) وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١٠١).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٦٢٥).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان أن الإسلام بدأ غريبًا (١٤٥). من حديث: أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجها الدولابي في الكنى والأسماء (١/ ١٩٣)، والطبراني في الكبير (٦/ ٢٠٢)، وابن عدي في الكامل (٢/ ٤٦٢)، في ترجمة: بكر بن سليم الصواف. من حديث: سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
قال الطبراني: «لم يروه عن أبي حازم، عن سهل بن سعد، إلا بكر الصواف» المعجم الصغير (١/ ١٨٣). وقال ابن عدي عنه: «يحدث عن أبي حازم عن سهل بن سعد وغيره، ما لا يوافقه أحد عليه». وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٧٨): «رواه الطبراني في الثلاثة، ورجاله رجال الصحيح غير بكر بن سليم وهو ثقة».

أفسد الناس من بعدي من سنتي»[١].

وفي بعض الروايات: «**الذين يفرون بدينهم، يجتمعون إلى عيسى ابن مريم**»[٢]. فإذا وقعت الفتن والاختلافات والبدع في بلاد هربوا ونجوا بدينهم.

وفي رواية: «**النزَّاع من القبائل**»[٣]. فيكون من الأسرة واحد أو اثنان، ومن القبيلة خمسة أو عشرة، ومن البلدة عشرة أو عشرون، والبقية مخالفون لهم، أو ينتقدونهم، فهؤلاء هم الغرباء، فطوبى للغرباء.

---

(١) أخرجها الترمذي في كتاب الإيمان، باب: ما جاء أن الإسلام بدأ غريبًا (٢٦٣٠). وغيره. وقال: «حديث حسن صحيح». وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (ح: ٤٩٢) (٣١٣)؛ لأن مداره على كثير بن عبد الله المزني، وقد ضعفه جمع من العلماء؛ منهم: ابن المديني، والساجي، ويعقوب الفسوي وكذلك الإمام أحمد قال عنه: «منكر الحديث، ليس بشيء» وضعَّفه ابن معين. ووصفه الشافعي بأنه ركن من أركان الكذب». انظر: المجروحين لابن حبان (٢/ ١٥٣). ينظر: الجرح والتعديل (٧/ ١٥٤)، تهذيب التهذيب (٨/ ٤٢١).

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص٥٣٢) ونعيم بن حماد في الفتن (١/ ٧٧) من حديث عبد الله بن عمرو ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ.

(٣) أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب: بدأ الإسلام غريبًا (٣٩٨٨)، أحمد (١/ ٣٩٨)، والدارمي في سننه (٢٧٥٨)، عن عبد الله بن مسعود ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ مرفوعًا. قال الإمام أحمد: «هذا حديث منكر» المنتخب من علل الخلال (١/ ٤). قال الألباني في الصحيحة، (٣/ ٣٤٧)، برقم: (١٢٧٣): «متوقف في صحته، بعد أن كنت تابعًا ـ في تصحيحه برهة من الزمن ـ غيري. و الله أعلم».

ولكن لا يضر الحق قِلَّة أهله، فالعبرة بالمتمسكين بالحق، والعبرة بالأدلة، وليست العبرة بكثرة الهالكين، ولا بِقِلَّة السالكين، وذلك لكثرة الأسباب التي تحرف الناس وتصرفهم عن الحق، لكثرة الفتن، ولكثرة المغريات، ولكثرة الدعايات المضللة، كما قال بعض السلف: «ليس العجب ممن هلك كيف هلك، إنما العجب ممن نجا كيف نجا!»[١].

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما رأيت أعظم فتنة من مقاربة الفتنة، وقلّ أن يقاربها إلا مَن يقع فيها، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه»[٢].

ولذا فالواجب الاحتراز من الفتن وأسبابها، فإن الإنسان إذا تعرض لذلك فقد يفتتن ولا يَسْلم. «فإذا قدّر أنه ابتلي بغير اختياره، أو دخل فيه باختياره وابتلي؛ فعليه أن يتقي الله ويصبر ويخلص ويجاهد. وصبره وسلامته مع قيامه بالواجب من أفضل الأعمال كمن تولى ولاية وعدل فيها، أو ردّ على أصحاب البدع بالسنة المحضة ولم يفتنوه، أو عَلَّم النساء الدين على الوجه المشروع من غير فتنة.

لكن الله إذا ابتلى العبد وقدَّر عليه أعانه، وإذا تعرض العبد بنفسه للبلاء وَكَلَهُ الله إلى نفسه»[٣]، وهناك هلاكه وشقاوته. وعليه فإن البدع

---

(١) ينظر: مدارج السالكين، لابن القيم (٣/ ١٣٠)، ولطائف المعارف، لابن رجب، (ص٣٦٤).

(٢) صيد الخاطر (ص١٨٩) ط (١٠) عام ١٤٢٢هـ. تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض.

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/ ٥٧٧).

تكون في أولها شبرًا، ثم تكثر في الأتباع حتى تصير أذرعًا وأميالًا وفراسخ(١).

والأصل الخلطة وعدم العزلة، لحديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال: رسول ﷺ: «**المؤمن الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم، أعظم أجرًا من الذي لا يخالطهم، ولا يصبر على أذاهم**»(٢).

ولما يترتب على العزلة من تضييع الحقوق، وتعطيل الواجبات، وتفويت المصالح، لكن يستثنى من هذا الأصل حالات منها:

١ ـ عند فساد الزمان، بحيث يكون ضرر اختلاطه أكبر من مصلحة اعتزاله. (سواء على نفسه أو على غيره) ولذلك قال الخطابي: «والعزلة عند الفتنة سنة الأنبياء، وعصمة الأولياء، وسيرة الحكماء الألبَّاء والأولياء، فلا أعلم لمن عابها عذرًا، لاسيّما في هذا الزمان القليل خيره...»(٣).

٢ ـ عند القتال إذا خفي الحق وتعذرت معرفة الصواب، ولذا فإن من أصول أهل السنة والجماعة لزوم الجماعة، وترك قتال الأئمة وترك

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٤٢٥).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٤٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (ح: ٢٦٢٢٠)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٨٨)، والترمذي في السنن (٢٥٠٧)، وابن ماجه في الفتن، باب: الصبر على البلاء (٤٠٣٢)، والطيالسي (١٨٧٦). وحسنه ابن حجر في الفتح (١٠/ ٥١٢).

(٣) العزلة (ص٨).

القتال في الفتنة[١].

أما إذا ظهر له الحق، فهو مأمور بمقاتلة التي تبغي، أو المثيرة للفتنة، فعن أبي وائل قال: دخل أبو موسى وأبو مسعود على عمار، حين بعثه علي إلى الكوفة يستنفرهم، فقالا: ما رأيناك أتيت أمرًا أكره عندنا من إسراعك في هذا الأمر منذ أسلمت، فقال عمار: ما رأيت منكما منذ أسلمتما أمرًا أكره عندي من إبطائكما عن هذا الأمر، وكساهما حُلَّة، ثم راحوا إلى المسجد»[٢].

قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن الأحاديث المتعلقة بالفتن والتحذير منها محمولة عند أهل العلم على الفتن التي لا يُعْرَف فيها الـمُحِق من المبطل، فهذه الفتن المشروع للمؤمن الحذر منها، وهي التي قصدها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «**القاعد فيها خير من القائم، والماشي خير من الساعي**»[٣] الحديث.

أما الفتن التي يُعْرف فيها المحق من المبطل، والظالم من المظلوم فليست داخلة في الأحاديث المذكورة، بل قد دَلَّت الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة على وجوب نصر المحق والمظلوم على الباغي

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٢٨) وينظر (٤/ ٣٤٦، ٤٥٠، ٤٥١). وينظر النص على ذلك في عقائدهم على سبيل المثال في كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، عقيدة الإمام أحمد (١/ ١٦١) وعلي ابن المديني (١/ ١٦٨) والرازيين؛ أبي زرعة وأبي حاتم (١/ ١٧٧).

(٢) أخرجه البخاري في الفتن، (٧١٠٢).

(٣) تقدم تخريجه (ص ؟؟).

والظالم»[١].

٣ ـ عندما لا يكون هناك جماعة ظاهرة ولا إمام، كما تقدم في حديث حذيفة: «**فاعتزل تلك الفرق، ولو أن تعض بأصل شجرة**»[٢]، وتقدم تفصيل ذلك في (لزوم جماعة المسلمين وإمامهم)[٣].

وعلى كلٍّ: فأمر العُزلة والخُلْطة دائرٌ مع المصلحة العامة، مصلحة الأمة المسلمة ومصلحة الفرد المسلم، فقد تكون الخُلطة واجبة متعينة على فرد بعينه لما فيها من مصلحة شرعية، وإصلاح بين الناس وكف لفسادهم، وقد تكون العزلة والانقباض عن فضول الصحبة هي المتعينة عند خوف الضرر، فالاعتدال في العزلة والخلطة بمراعاة الأزمنة والأمكنة والمصالح والنظر في العواقب والمفاسد هو المطلوب[٤].

ومن المؤكد أن عدم تكثير الفتن والخارجين فيها مطلب شرعي لما روي في حديث ابن مسعود ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ: «من كثَّر سواد قوم فهو منهم، ومن رضي عمل قوم كان شريك من عمل به»[٥].

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز (٧/ ٣٦٣).

(٢) تقدم تخريجه (ص ٨٢).

(٣) (ص ٨١).

(٤) ينظر: فقه التعامل مع الفتن، (ص١٣٣).

(٥) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (١٠/ ٤١)، عن الحارث بن النعمان، قال: سمعت الحسن يحدث عن أنس مرفوعاً. وضعفه الألباني في الضعيفة (٤٦٠٨). وأخرجه أبو يعلى الموصلي كما في نصب الراية عن عبد الله بن مسعود ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ مرفوعًا (٤/ ٤٠٣)، وأخرجه ابن المبارك في الزهد (ص١٢) موقوفًا على أبي ذر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ.

وهذا في حق القتال بين المسلمين، أما في حق الكفار فقال الله تعالى مبينًا مشروعية قتالهم؛ لوأد الفتنة ومنعها: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣]. وقال تعالى: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١]. وقال تعالى: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وروى البخاري عن سعيد بن جبير، قال: «خرج علينا عبد الله بن عمر، فرجونا أن يحدثنا حديثًا حسنًا، فقال: فبادرنا إليه رجل، فقال: يا أبا عبد الرحمن، حدثنا عن القتال في الفتنة، والله يقول: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾. فقال: هل تدري ما الفتنة ثكلتك أمك؟! إنما كان محمد يقاتل المشركين، وكان الدخول في دينهم فتنة، وليس كقتالكم على الملك»[1].

* **المبحث العاشر: تحقيق مبدأ الأخوة الإسلامية الحقة والنصرة المتعينة،** ودرء الفتنة عنهم قدر المستطاع، واستصحاب الأحكام الشرعية العامة والخاصة المتعلقة بالدماء والأعراض والأموال، وتحقيق مبدإ الولاء والبراء، والسعي إلى إغاثة المنكوبين ، وغيرها من الواجبات التي تتأكد في مثل أيام الفتن العصيبة مستشعرين قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣] وغير ذلك من الآيات.

---

(١) في كتاب الفتن، باب: قول النبي ﷺ: «**الفتنة من المشرق**» (٧٠٩٥).

ومتأملين حديث النبي ﷺ في حجة الوداع: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم، حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا**»[١]. وقوله: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا، يضرب بعضكم رقاب بعض**»[٢]، وقوله ﷺ: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسلمه**»[٣].

بل قد جعل الله تبارك وتعالى عدم التناصر في الدين وتحقيق مبدأ الولاء والبراء ـ كما تقدم[٤] ـ سببًا للفتنة والفساد الكبير، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣].

روى البخاري عن عبيد الله بن عدي بن خِيَار: «أنه دخل على عثمان بن عفان ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ وهو محصور، فقال: إنك إمام عامة، ونزل بك ما نرى، ويصلي لنا إمام فتنة ونتحرج؟ فقال: الصلاة أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسن الناس فأحسن معهم، وإذا أساؤوا فاجتنب إساءتهم»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب: الخطبة أيام منى (١٧٣٩). من حديث: ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب: الإنصات للعلماء (١٢١). من حديث: جرير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المظالم، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه (٢٤٤٢)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب: تحريم الظلم (٢٥٨٠). من حديث: عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٤) (ص٣٥- ٣٦).

(٥) في الأذان، باب: إمامة المفتون والمبتدع (٦٩٥) (ص١١٤) ط. دار السلام.

*** المبحث الحادي عشر: الحذر من تنزيل نصوص الفتن على أحداث في الواقع وعلى أشخاص بأعيانهم بالتخرص والتخمين:**

فقد كان النبي ﷺ كثيرًا ما يحدث أصحابه عن الفتن لاتقائها والتقليل من غلوائها، وكان يستغرق هذا التحديث وقتًا طويلًا، فقد حدثهم ذات مرة من صلاة الفجر إلى المغرب، وحدثهم عما يقع من الفتن(١) وحذّرهم منها، وأمر بالاستعاذة من بعضها في كل صلاة كما تقدم. وتناقل ذلك الصحابة عن رسول الله ﷺ ثم التابعون وأتباعهم إلى أن جمعتها لنا دواوين السنة في كتب وأبواب، ففي صحيح البخاري كتاب الفتن ضمنه ما يقارب (١٠١) حديث وأثر، وفي مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة (١٧٢)، وكذلك الحال في سنن أبي داود وابن ماجه وغيرهم.

وقد خصها بعض العلماء بمؤلفات خاصة، ومن أقدم ما وصل إلينا: كتاب الفتن؛ لنعيم بن حماد (ت٢٢٩هـ). والفتن؛ لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ)(٢).

---

(١) رواه مسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب: إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة (ح: ٥١٤٩).

(٢) والكتابان مطبوعان والحمد لله. الأول بتحقيق أبي عبد الله محمد محمد عرفة، ونشر المكتبة التوفيقية ـ القاهرة، وبدون تاريخ للنشر أو الطبعة.
والثاني: بعنوان: السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها. تحقيق د. رضا الله المباركفوري. ط. دار العاصمة في الرياض عام ١٤١٦هـ. والكتاب له طبعة أخرى بعناية أبي عمر نضال عيسى العبوشي، ونشر بيت الأفكار الدولية ـ الأردن، وبدون تاريخ للنشر أو الطبعة أيضًا.

ومن المعاصرة «موسوعة أحاديث الفتن وأشراط الساعة» جمع د. همام سعيد و د. محمد رحيم. وهو كتاب مفيد جدًا.

والمسلمون محتاجون في كل زمان إلى مدارسة هذه الأحاديث وفقهها، ومعرفة صحيحها من ضعيفها، حتى يحسنوا التعامل مع هذه الفتن حين وقوعها ويجتهدوا في القضاء على أسبابها قبل وقوعها.

ومنها على وجه الخصوص ما يكون بين يدي الساعة وأشراطها حتى قال البرزنجي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولذا كان حقًا على كل عالم أن يشيع أشراطها، ويبث الأحاديث والأخبار الواردة فيها بين الأنام، ويرددها مرة بعد أخرى على العوام، فعسى أن ينتهوا عن الذنوب، وتلين منهم بعض القلوب، وينتبهوا من الغفلة، ويغتنموا المهلة قبل الوهلة»(١).

فأهل السنة والجماعة لهم ضوابط محددة ومناهج مؤصلة في التعامل مع نصوص الفتن وتنزيلها على وقائع معيّنة وموصوفة في تلك النصوص، ومن ذلك:

١ - التثبت من صحة النص، وثبوته عن النبي ﷺ؛ لأنه بعد وقوع الفتن ظهر الوضع والكذب في الحديث وكذل في كل فتنة. فقد أخرج مسلم في صحيحه عن ابن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة ـ أي مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قالوا: سَمُّوا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم»(٢).

---

(١) الإشاعة في أشراط الساعة (ص٣).

(٢) المقدمة (ح٢٧) (ص١٠) ط. دار السلام.

٢- فِهم دلالة النصوص ومآلاتها ومعانيها، واعتقاد أن ما أخبر به النبي ﷺ فيها حق وصدق، ولا يكون ذلك إلا بإلمام ومعرفة باللغة التي وردت بها تلك النصوص، فلا تفسر تلك النصوص إلا بما دلت عليه لغة القوم حين نزولها والتحدث بها، لأن الجهل باللسان العربي من أكبر أسباب الانحراف في فِهم النصوص وحملها على غير محاملها التي أرادها المتكلم بها. فلابد من فِهم هذه النصوص على فهم السلف الصالح لها؛ لأنهم أهل اللغة والفصاحة، وهم أدرى بمآلات ومعاني النصوص الشرعية من غيرهم.

٣- عدم إنزال تلك الأحاديث والنصوص على وقائع محددة إلا ما قام الدليل الصحيح الصريح على ذلك، وعدم التكلّف في ذلك سواء بحسن قصد أو بسوء قصد، وهذه النصوص منها ما هو المحكم البيِّن، الواضح الدلالة على الواقعة، فهذا ينزله العلماء على تلك الواقعة، أما ما تشابه منه. فليحذر من التأول والتكلف في تنزيل النصوص على تلك الوقائع من غير بينة قاطعة ولا برهان بيِّن. قال الإمام القربي رحمه الله: «والذي ينبغي أن يقال في هذا الباب؛ أن ما أخبر به النبي ﷺ من الفتن والكوائن أن ذلك يكون، وتعيين الزمان في ذلك من سنة كذا يحتاج إلى طريق صحيح يقطع العذر، وإنما ذلك كوقت قيام الساعة؛ فلا يعلم أحد أي سنة هي، ولا أي شهر...»[1].

وعليه فإن من الخطأ انشغال بعض صغار المتعلمين وطلبة العلم بتنزيل هذه الأحاديث على بعض الوقائع الحية، والجزم بأنها المراد

---

(١) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٧١١).

بحديث النبي ﷺ من غير دليل واضح ولا برهان مقنع، وقلَّ أن تسلم من تعسف وتأويل. في مقابل رَدّ بعضهم وإنكارهم لأحاديث صحيحة ثابتة عن النبي ﷺ، خاصة إذا لم تطابق الواقع الذي أنزله أولئك عليه، فيكون في ذلك فتنة للمسلمين، وتشكيكٌ في النصوص، وزعزعة لليقين في قلوبهم.

وقد قال بعض الناس: «أكثر ما يفسد الدنيا: نصف متكلم، ونصف متفقه، ونصف متطبب، ونصف نحوي. هذا يُفسد الأديان، وهذا يُفسد البلدان، وهذا يُفسد الأبدان، وهذا يُفسد اللسان»[(١)].

وهذا من التقول على الله وعلى رسوله بغير علم، وقد قال عز وجل: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣]، فرتبت الآية المحرمات ترتيبًا تصاعديًا[(٢)].

وقد يترتب على ذلك من التقاعس عن العمل، وعدم الأخذ بالأسباب، والشعور بالإحباط لشعورهم بأن الساعة قد اقتربت، وهذا آخر الزمان، فلا فائدة من العمل! إلى غير ذلك من المحاذير، فالواجب الحذر من التأويل واتباع المتشابه، فأكثر الفتن لا تنبع إلا بالتأويل الفاسد.

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ١١٨).

(٢) ينظر: جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٠)، ومفتاح دار السعادة (١/ ١٦٢)، والكلام على مسألة السماع (٣٢٤ و٣٢٥). وبدائع التفسير (٢/ ٢٠٨).

*** المبحث الثاني عشر: الثقة بنصر الله، وأن النصر والتمكين للإسلام، والتبشير بذلك:**

من الأسلحة المعنوية القوية والدروع الواقية من الفتن الثقة بأن الإسلام منصور بنصر الله تعالى ونشر ثقافة التفاؤل، وأن المستقبل لهذا الدين، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨]، وأن ما يصيب المسلمين من الفتن إنما هو لحِكَم يعلمها الله تعالى ومنها: الابتلاء والاختبار.

والأصل في ذلك وعد النبي ﷺ الذي لا ينطق على الهوى، إن هو إلا وحي يوحى لما قال: «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**»[1].

ومما سطر في كتاب الله تعالى، وبقي قرآنًا يتلى إلى قيام الساعة بعد حادثة الإفك وآلامها قول الله تعالى: ﴿لَا تَحۡسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٌ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١].

وعليه فإن العاقبة للمتقين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١]، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب: المؤمن أمره كله خير (٢٩٩٩)، من حديث صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢-٣٣].

وقال ﷺ: « **لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّـةٌ قَائِمَـةٌ بِـأَمْرِ الله لَا يَـضُرُّهُمْ مَـنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ الله وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ** »[١]. وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن مثل أمتي كالغيث، لا يدرى أوله خير أو آخره**»[٢].

ولا يكون التمكين للأمة إلا بعد الابتلاء والتمحيص بالفتن، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]، فلا تنال الإمامة في الدين إلا بالصبر واليقين.

وكثر من الناس «إذا رأى المنكر أو تغير كثير من أحوال الإسلام جزع وكَلَّ، وناح كما ينوح أهل المصائب، وهو منهي عن هذا، بل هو مأمور بالصبر والتوكل، والثبات على دين الإسلام، وأن يؤمن بالله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وأن العاقبة للتقوى، وأن ما يصيبه فهو بذنوبه فليصبر، إن وعد الله حق، وليستغفر لذنبه، وليسبح بحمد

---

(١) أخرجه البخاري في المناقب (٣٦٤١). من حديث: معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٨٦٩)، وأحمد (٣/ ١٣٠). من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وحسنه ابن حجر في الفتح (٧/ ٦).

ربه بالعشي والإبكار»(١).

وجاء في حديث أُبي بن كعب ـ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ـ: «**بشر هذه الأمة بالسناء(٢) والرفعة والدِّين، والنصر والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا، لم يكن له في الآخرة نصيب**»(٣).

غير أن هذا النصر والتمكين مشروط باتخاذ كافة الأسباب الشرعية والقدرية لتحقيقه، قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ﴾ [محمد: ٤]، ومن أبرز هذه الأسباب التي أمرنا بتحقيقها هو تحقيق التوحيد الخالص والعبودية الحقة لله تعالى، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥]، فمن رسخت هذه العقيدة في فؤاده أصبح مُحَصَّنًا قويًا في إيمانه متزنًا في تصرفاته، ومن أكبر أسباب الولوج في الفتنة هو اليأس والخَوَر، والهزيمة النفسية التي تهيئ الأرض الخصبة لتمكن جذور الفتن المهلكات.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٨/ ٢٩٥).

(٢) أي: بارتفاع المنزلة والقدر، من سَنِيَ يَسْنَى سناءً، أي: ارتفع. النهاية (٢/ ٤١٤).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ١٣٤)، والحاكم (٤/ ٣١١)، والبيهقي في الشعب (٦٨٣٤)، وغيرهم. وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٢٣).

الفَصْلُ الرَّابِعُ

من ثمرات الفتن والحِكَم الإلهية فيها

ومع ما في الفتن من مكاره، فإن أن الله تعالى لا يُقَدِّرُ شرًّا محضًا، بل هناك حِكَم وفوائد وآثار جليلة، تتجلى عند حدوث مثل هذه الفتن إذا التزم المرء حيالها بالمنهج الشرعي، وتعامل معها وفق الضوابط الشرعية التي تقدمت الإشارة إليها، ومن هذه الثمرات:

١ ـ تميّز الصفوف، وتبين الصادق من الكاذب:

والأصل في ذلك قوله تعالى في أول سورة العنكبوت: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١- ٣]. والمعنى: «أن الناس لا يُتْركون دون فتنة، أي ابتلاء واختبار لأجل قولهم (آمنا)، بل إذا قالوا (آمنا) فُتِنُوا: أي امتحنوا واختبروا بأنواع الابتلاء حتى يتبين بذلك الابتلاء الصادق في قوله (آمنا) من غير الصادق»[1].

قال ابن القيم: «فليتأمل العبد سياق هذه الآيات، وما تضمّنته من العِبر وكنوز الحكم، فإن الناس إذا أرسل إليهم الرسل بين أمرين: إما أن يقول أحدهم (آمنا) وإما ألا يقول ذلك، بل يستمر على السيئات والكفر، فمن قال (آمنا) امتحنه ربه وابتلاه وفتنه، والفتنة: الابتلاء

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٦/ ٥٠٩).

والاختبار؛ ليتبين الصادق من الكاذب...»[(١)].

وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

فالفتنة «كير القلوب، ومحك الإيمان، وبها يتبين الصادق من الكاذب»[(٢)]، وقد قسمت الفتنةُ الناسَ بين صادق وكاذب، ومؤمن ومنافق، وطيب وخبيث.

قال الحسن البصري: «إنك لتعرف الناس ما كانوا في عافية، فإذا نزل البلاء صار الناس إلى حقائقهم، صار المؤمن إلى إيمانه، والمنافق إلى نفاقه»[(٣)].

فهذه حكمة الله تعالى في خلقه، بل إن الله تعالى إنما خلق السموات والأرض، وخلق الموت والحياة وزيَّن الأرض بما عليها لابتلاء عباده وامتحانهم، ليعلم مَن يريده ويريد ما عنده ممن يريد الدنيا وزينتها. قال

---

(١) زاد المعاد (٢/ ١١٠).

(٢) إغاثة اللهفان (٢/ ١٦٢). وينظر (٢/ ١٩٢).

(٣) الزهد للإمام أحمد (ص٢٨٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٢/ ٣٨٧) تحقيق: مختار الندوي ط. أولى ١٤٢٣ مكتبة الرشد (ح: ٩٩٠٠). وبنحوه في المجالسة وجواهر العلم للدينوري (٥/ ١٠٩).

تعـــالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [هود: ٧]، وقال: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧]، وقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، وغيرها من الآيات.

يقول الشيخ محمد خليل هراس رَحِمَهُ اللَّهُ: «اقتضت حكمة الله تعالى أن يبعث على الناس في عهد النبوة بين الحين والآخر ريح فتنة يبتلي بها ما في النفوس، يظهر الصادق في إيمانه الذي لا تزلزله الفتنة ولا تنال منه الزعازع من المنافق الذي لا يلبث أن يكشف ما في نفسه من ظلمات الشكوك وعوامل الهزيمة فيذوب في الفتنة كما يذوب الملح في الماء.

ولقد كان حادث تحويل القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام إحدى هذه الابتلاءات الكبرى التي أراد الله تعالى بها هز المجتمع الإسلامي لتسقط من شجرته المباركة الأوراق اليابسة والثمرات العفنة، ولا يبقى إلا القوي الجيد الذي له صلابة الإيمان، وقوة اليقين ونور البصيرة ما يرد عنه مضلات الفتن، وينجيه من بوائقها»[١]. قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

---

(١) مجلة التوحيد. العدد: شعبان ١٤١٥ (ص١٤).

٢ ـ فضح المنافقين وكشف أستارهم:

ففي الفتن يتبين المؤمن من المنافق، فيظهر على حقيقته، وينكشف ما كان يخفيه. والتاريخ خير شاهد، فقد فضح الله المنافقين في المواقف الصعبة مع النبي ﷺ يوم أحد، وانخذال ثلث الجيش مع عبد الله بن أُبي بن سلول، وفي الأحزاب وغيرهما. وجاءت سورة التوبة وهي السورة الفاضحة لهؤلاء المندسِّين بين صفوف المسلمين، الذين لا يظهرون إلا أيام الفتن، حينها يَـخْذلون المسلمين، ويفتون في عضدهم، وهم أحوج ما يكونون إلى وحدة الصف واجتماع الكلمة، قال الله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة: ٤٧- ٤٨].

كما بَيَّن الله تعالى حرص المنافقين على نشر الفتنة عندما تطلب منهم كما قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: ١٤].

وعلى كل فالفتن هي التي تبين المؤمن الصادق من المنافق الكاذب. فتزيد المؤمن ثباتًا ورسوخًا، وتزيد المنافق شكًا واضطرابًا وهلاكًا.

فتفضح جميع أصناف المنافقين من اللبراليين والعلمانيين والمنتسبين للفرق الضالة كالرافضة والصوفية، فيظهرون على حقيقتهم وتنكشف حقيقة ولائهم لأعداء الأمة وتربصهم بالمسلمين الدوائر، ولولا مثل

هذه الهزات والمحن لما أخرج الله أضغانهم وأظهرهم على حقيقتهم كما قال الشاعر:

جزى الله الشدائد كل خير وإن كانت تغصصني بريقي
وما شكري لها إلا لأني عرفت بها عدوي من صديقي[(١)]

وقال ﷺ: «**مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع، تُفَيِّئُهَا الرياح، تقومها تارة وتميلها أخرى، ومثل المنافق مثل شجرة الأرز، لا تزال ثابتة على أصلها حتى يكون انجعافها مرة واحدة**»[(٢)].

٣ ـ امتحان الخلق، واختبار صبرهم، وعُبُوديتهم في السراء والضراء:

قال عز من قائل: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [العنكبوت: ١٠].

قال ابن عباس: «فتنته أن يرتد عن دينه»[(٣)]. وكذا قال غيره من علماء السلف.

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ

---

(١) ينظر: موسوعة فقه الابتلاءات. علي الشّحّود (٤/ ٣١٨).

(٢) البخاري في المرضى، باب: في كفارة المرض (ح: ٥٦٤٣)، ومسلم في صفات المنافقين (ح: ٢٨٠٩) (٤/ ٢١٦٣).

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٠/ ١٣) وينظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٢٦٥).

ﭐلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [الحج: ١١].

وقـــال تعـــالى: ﴿وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ ﴾ [الفرقان: ٢٠] «وهذا عام في جميع الخلق امتحن بعضهم ببعض، فـامتحن الرسل بالمرسل إليهم، ودعوتهم إلى الحق والصبر على أذاهـم، وتحمـل المشاق في تبليغهم رسالات ربهم. وامتحن المرسل إليهم بالرسل، وهل يطيعونهم وينصرونهم ويصدّقونهم، أم يكفرون بهـم ويـردون علـيهم ويقاتلونهم؟ وامتحن العلماء بالجهّـال؛ هـل يعلمـونهم وينـصحونهم، ويصبرون على تعليمهم ونصحهم وإرشادهم ولوازم ذلك؟، وامتحن الجهّال بالعلماء هل يطيعونهم ويهتدون بهم؟ وامتحن الملـوك بالرعيـة، والرعيـة بـالملوك، وامـتحن الأغنيـاء بـالفقراء، والفقـراء بالأغنيـاء، وامتحن الضعفاء بالأقوياء، والأقويـاء بالـضعفاء، والـسادة بالأتبـاع والأتباع بالسادة، وامـتحن المالـك بمملوكـه، ومملوكـه بـه، وامـتحن الرجل بامرأته وامرأته به، وامتحن الرجال بالنساء، والنساء بالرجـال، والمؤمنين بالكفار، والكفار بالمؤمنين، وامتحن الآمرين بالمعروف بمـن يأمرونهم، وامتحن المأمورين بهم...»[1].

كما أن هذه الفتن هي ابتلاء للمسلمين بالسراء والضراء وامتحـان لهم، ولذلك قال تعـالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ ﴾ [التغـابن: ١٥]، وقـــال تعـــالى: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ ﴾ [الأنبيـاء: ٣٥]، وقـــال

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ١٦١).

عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ابتلينا مع رسول الله ﷺ بالضراء فصبرنا، ثم ابتلينا بعده بالسَّرَّاء فلم نصبر»(١).

فالله سبحانه «يحب من عباده تكميل عبوديتهم على السراء والضراء، وفي حال العافية والبلاء، وفي حال إدالتهم والإدالة عليهم، فلله سبحانه على العباد في كلتا الحالين عبودية بمقتضى تلك الحال، لا تحصل إلا بها، ولا يستقيم القلب بدونها، كما لا تستقيم الأبدان إلا بالحرّ والبرد، والجوع والعطش، والتعب والنصب وأضدادها، فتلك المحن والبلايا شرط في حصول الكمال الإنساني، والاستقامة المطلوبة منه، ووجود الملزوم بدون لازمه ممتنع»(٢).

فعبودية الخلق لا تظهر ـ في بعض الأحيان ـ إلا بالابتلاء كعبودية الجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والحلم، والصبر، وغير ذلك. فلولا البلاء لما ظهرت هذه العبادات، والله المستعان.

٤ ـ تقوية الإيمان في قلوب المؤمنين وتثبيتهم:

مع ما في الفتن من أثر في القلوب واهتزاز واضطراب في المواقف إلا أنها تزيد في إيمان المؤمن وتزيد في ثبات قلبه، وقوة توكله، يشهد لذلك أنه لما امتحن الله المؤمنين في الأحزاب قالوا: ﴿**هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا**﴾ [الأحزاب: ٢٢]، وكذلك يوم (حمراء الأسد) لما استجاب المؤمنون لنداء الجهاد مع ما

(١) أخرجه البخاري في أبواب صفة القيامة (٤/ ٥٧).

(٢) إغاثة اللهفان (٢/ ١٩٠).

فيهم من الجراح والآلام امتدحهم الله تعالى بقرآن يتلى إلى قيام الساعة، فقال عز وجل في حقهم: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٢ - ١٧٤]، فتأمل قوة الابتلاء والاختبار، وتأمل ثمرات الثبات والنجاح الدنيوية والأخروية، وقد تقدم تفصيل هذه الحِكَم والثمرات التي أشارت إليها هذه الآيات في المقدمة.

وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣١].

٥ ـ تبيّن الحق للسالكين:

كما أن من ثمراتها تبيّن الحق للسالكين، وتُثَبِّتهم مما هم عليه، كما قال محمد رشيد رضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قد خلت سنة الكون بأن الفتن تنير الطريق لأهل الحق، كل إنسان يرى نفسه على الحق في الجملة، ولكن التمكن في المعرفة والثبات على الحق لا يعرف في الغالب إلا إذا وجد للمحقِّ خصم ينازعه ويعارضه في الحق، هناك تتوجه قواه إلى تأييد

حقه وتمكينه، ويحس بحاجته للمناضلة دونه، والثبات عليه، وكثيرًا ما يظهر الباطلُ الحقَّ بعد خفائه، فإن المعارضة في الحق تحمل صاحبه على تنقيحه وتحريره، وتنقيته مما عساه يلتصق به، أو يجاوره من غواشي الباطل»(١).

٦ ـ العظة والاعتبار:

فمن ثمرات الفتن الاعتبار بحال مَن وقعوا فيها واكتووا بنارها؛ لأن السعيد مَن وُعظ بغيره كما قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢). قال شيخ الإسلام: «وذلك أن الفتن إنما يعرف ما فيها من الشرّ إذا أدبرت. فأما إذا أقبلت فإنها تُزَيَّن، ويُظَن أن فيها خيرًا، فإذا ذاق الناس ما فيها من الشر والمرارة والبلاء صار ذلك مبيِّنًا لهم مضرتها، وواعظًا لهم أن يعودوا في مثلها...» إلى أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن استقرأ أحوال الفتن التي تجري بين المسلمين تبيّن له أنه ما دخل فيها أحد فَحَمِدَ عاقبة دخوله؛ لما يحصل له من الضرر في دينه ودنياه؛ ولهذا كانت من باب المنهي عنه، والإمساك عنها من المأمور به الذي قال الله فيه: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]»(٣).

ثم فيها تنبيه لمن وقع في شيء منها للاعتبار والرجوع إلى الحق، وعدم التمادي في الباطل، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى

(١) تفسير المنار (٢/ ٢٦).
(٢) أخرجه مسلم في القدر، باب كيفية خلق الآدمي، (ح: ٢٦٤٥).
(٣) منهاج السنة (٤/ ٤٠٩- ٤١٠).

كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٦]، أي: «مع هذا البلاء الذي يحل بهم من الله، والاختبار الذي يعرض لهم لا ينيبون من نفاقهم، ولا يتوبون من كفرهم، ولا هم يتذكرون بما يرون من حجج الله ويعاينون من آياته، فيتعظوا بها، ولكنهم مصرّون على نفاقهم»[١].

٧ـ المغفرة والرحمة والتمحيص لمن فُتن فثبت:

قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٠- ١٤١]، فمن مرادات الله من هذا الابتلاء والاختبار: تمحيص المؤمنين بتخليصهم من ذنوبهم بالتوبة والرجوع إليه، واستغفاره من الذنوب[٢].

وقال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

---

(١) تفسير الطبري (١١/ ٧٣).

(٢) تقدمت الإشارة إلى الحِكَم من إدالة العدو على المسلمين في أُحد في المقدمة.

فمن رحمة الله تعالى بهذه الأمة أنه ما يصيب المسلم من بلاء أو فتنة أو مصيبة إلا كفَّر الله بها من خطاياه حتى الشوكة يشاكها، كما قال ﷺ: «**ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا همّ ولا حزن، ولا أذى ولا غمّ حتى الشوكة يشاكها إلا كفَّر الله بها من خطاياه**»(١)، وقال عليه أفضل الصلاة والسلام: «**أمتي هذه أمة مرحومة، ليس عليها عذاب في الآخرة، عذابها في الدنيا: الفتن والزلازل والقتل**»(٢).

والمعنى: أن غالب عذابهم مجزيون به في الدنيا بالمحن والمصائب والأمراض، وإلا فإن الله تعالى قال: ﴿**مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ**﴾ [النساء: ١٢٣]، قال ابن بطال كما في الفتح: «إن المسلم يجازى على خطاياه في الدنيا بالمصائب التي تقع له فيها، فتكون كفارة لها»(٣) وفي إطلاق ذلك نظر، والله أعلم.

ولذلك قال ﷺ: «**... ولا يزال البلاء بالمؤمن في نفسه وأهله وماله**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المرضى، باب: ما جاء في كفارة المرض (ح: ٥٦٤١) من حديث عائشة، وأبي هريرة وأبي سعيد ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ـ، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض وحزن.. (ح: ٢٥٧٣). من حديث عائشة وأبي هريرة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ.

(٢) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (٢/ ٥٩٣) وأحمد في المسند (٤/ ٤١٠ و٤١٨)، وأبو داود في الفتن والملاحم، باب ما يرجى في القتلى (ح: ٤٢٧٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٤٤) من حديث أبي موسى الأشعري ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ وصححه ووافقه الذهبي والألباني في الصحيحة (ح: ٩٥٩) (٢/ ٦٨٤). وقد أعلّ إمام الصندمة ـ الإمام البخاري ـ هذا الحديث سندًا ومتنًا. التاريخ الصغير (١/ ٢٤٨- ٢٤٩).

(٣) فتح الباري (١٠/ ١٠٨).

حتى يلقى الله وليس عليه خطيئة»[١].

فابتلاء المؤمن كالدواء له يستخرج منه الأدواء التي لو بقيت فيه أهلكته، أو نقصت ثوابه، وأنزلت درجته، فيستخرج الابتلاء والامتحان منه تلك الأدواء، ويستعد به لتمام الأجر، وعلوّ المنزلة[٢]. ولذلك قال الإمام مالك رحمه الله: «لا تغبطوا أحدًا لم يصبه في هذه الأمر بلاء» يقول: إن الله لابد أن يبتلي المؤمن فإن صبر رفع درجته»[٣].

٨ ـ علاج مرض الطغيان والركون إلى العاجلة:

فهذه الفتن تورث انكسارًا وذلًا وافتقارًا لله تعالى قد لا يتحقق في أيام السلامة والعافية. فمن الحكم أن الله تعالى يمحص الذين آمنوا، فيخلصهم من الذنوب، فإنهم إذا انتصروا دائمًا حصل للنفوس من الطغيان وضعف الإيمان ما يوجب لها العقوبة والهوان[٤]، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ﴾ [آل عمران: ١٧٨]، وقال عز وجل: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦ - ٧].

قال ابن القيم رحمه الله: «إن النفوس تكتسب من العافية الدائمة والنصر والغنى طغيانًا وركونًا إلى العاجلة، وذلك مرض يعوقها عن

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٥٥٨) وأحمد (٣/ ٤٥) (ح: ١٤٨١)، والترمذي في الزهد باب في الصبر على البلاء (ح: ٢٣٩٩)، وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه في الفتن، باب الصبر على البلاء (ح: ٤٠٢٣) (٢/ ١٣٣٤). من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

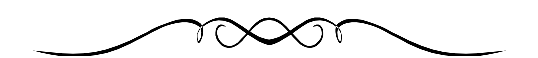
(٢) إغاثة اللهفان (٢/ ١٨٩).

(٣) مجموع الفتاوى (٤/ ٥٠).

(٤) شرح الأصبهانية (ص٥٥٦).

جدِّها في سيرها إلى الله تعالى والدار الآخرة، فإذا أراد بها ربُّها وراحمها كرامتها؛ قيض لها من الابتلاء والامتحان ما يكون دواء لذلك المرض العائق عن السير الحثيث إليه، فيكون ذلك البلاء والمحنة بمنزلة الطبيب يسقي العليل الدواء الكريه، ويقطع منه العروق المؤلمة لاستخراج الأدواء منه، ولو تركه لغلبته الأدواء حتى يكون فيها هلاكه»(١).

وفي هذا خير علاج لغرور النفس واستعلائها وحسن الظن بها والاغترار بالعلم أو العمل، فيورثه ذلك ذلًا وانكسارًا وافتقارًا إلى مولاه عز وجل.



(١) زاد المعاد (٣/ ٢٢١). وينظر: كتاب الفتنة معناها والحكمة منها للدويش (ص٩٦).

صفحة بيضاء

الخاتمة

بعد هذا التطواف مع هذا الموضوع المهم ظهرت لنا بعض النتائج، من أهمها:

١- تدور معاني الفتنة على الابتلاء والاختبار، وقد تعددت استعمالات هذه اللفظة في القرآن والسنة، ويعرف معناها بحسب السياق والقرائن وما أضيفت إليه.

٢- نظرًا لتعدد معانيها فقد تعددت أنواعها باعتبارات مختلفة، كما تعددت صورها وألوانها.

٣- تنوعت الأساليب القرآنية والأحاديث النبوية في التحذير من الفتن على وجه العموم، وبيان كيفية التعامل معها، والتقليل من آثارها السيئة بحسب أنواعها، كما جاء التحذير من فتن خاصة بأعيانها.

٤- الفتن أكبر ما تكون خطرًا على القلوب، وإذا فسد القلب فسد الجسد كله، وإذا فسد الفرد أدى ذلك إلى فساد الشعوب والمجتمعات.

٥- الجامع لأسباب الفتن هو مخالفة أمر الله وأمر رسوله ﷺ، مع أن هناك من الفتن ما هو لحكمة يعلمها الله تعالى ليس للمخلوق فيها سبب.

٦- بناء على أن أهم أسباب الفتن: هو المخالفة لأمر الله تعالى ورسوله،

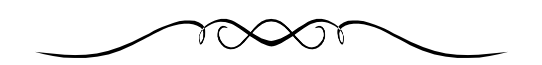
إما بسبب الجهل والشبهة، أو بسبب الهوى، أو بسببهما مجتمعين فإن أعظم عاصم من الفتن هو العودة الصادقة إلى الله تعالى والاعتصام بالكتاب والسنة علمًا وعملًا، وكل ما يحقق هذا المبدأ من التفقه في الدين، وإقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والسعي في إزالة أسباب الفتن الحسية والمعنوية أو تقليلها، والحذر من الأعداء المتربصين في الداخل والخارج الذين لا يفتئون يبذلون جهودهم في إشعال نار الفتن بين المسلمين، واستغلالها عند اشتعالها.

٧- إن أعظم أسباب إخماد الفتنة عند اشتعالها والتقليل من آثارها ومخاطرها، هو وحدة الصف بين جماعة المسلمين بالاشتغال بالعبادة واللجأ إلى الله تعالى، ولزوم جماعة المسلمين وإمامهم، والالتفاف حول العلماء، والصدور عن توجيهاتهم، والحذر من الفتاوى الضالة والاجتهادات الخاطئة وزلات العلماء، كما يلزم التأني والتثبت في الأخبار ونقلها، وفي اتخاذ القرارات العملية، وفي تنزيل نصوص الفتن قبل التثبت منها من حيث الثبوت ومن حيث الدلالة، مع الصبر والمصابرة وكف اليد واللسان إلا من خير، والحرص على اعتزال الفتن ومواطن الريبة قدر الإمكان، مع الاجتهاد في التقليل من سلبيات الفتن وآثارها، وتحقيق مبدأ الأخوة الإسلامية بين المسلمين، وتوطين النفوس الشاردة بالثقة وحسن الظن بالله، وأن العاقبة للمتقين.

٨- مع ما في الفتن من مآس وآثار سيئة على الفرد والمجتمع إلا أن الله

تعالى لا يقدر شرًا محضًا، فهناك من الثمار الإيجابية والحِكم الإلهيـة، والمنح الربانية ما يظهر بين عواصف المحن والابتلاءات.

والله أعلم، وصلى الله وسـلم وبـارك عـلى نبينـا محمـد وعـلى آلـه وصحبه أجمعين.



صفحة بيضاء

المصادروالمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الإباضية ـ دراسة مركزة في أصولهم التاريخية، لعلي بن يحيى معمر، ط. الثانية ١٤٠٧هـ، ن. مكتبة وهبة ـ مصر.

٣- الإبانة عن شريعة الفِرق الناجية ومجانبة الفِرق المذمومة، لابن بطة: أبي عبد الله عبيد الله بن محمد العكبري (ت٣٨٧هـ)، تحقيق: د. رضا بن نعسان معطي، ط. الأولى ١٤٠٩هـ، ن. دار الراية ـ الرياض.

٤- أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (٤٦٨هـ - ٥٤٣هـ). تحقيق: علي محمد البجاوي. ط. الثالثة ١٣٩٢هـ، ن. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٥- أخلاق العلماء، للآجري: أبي بكر محمد بن الحسين (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: د. أحمد حاج محمد عثمان، ط. الأولى ١٤٢٤هـ، ن. دار أضواء السلف ـ الرياض.

٦- الإشاعة لأشراط الساعة، للبرزنجي: الشريف محمد بن رسول الحسيني، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٧- أسباب نزول القرآن، للواحدي: أبي الحسن علي بن أحمد (ت٤٨٧هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط. الثانية ١٤٠٤هـ، ن. دار القبلة ـ الرياض.

٨- الإصابة في تمييز الصحابة، للعسقلاني: شهاب الدين أحمد بن علي المعروف بابن حجر (ت٨٥٢هـ)، وبذيله كتاب: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، تحقيق: طه محمد الزيني، ط. أولى، ن. مكتبة الكليات الأزهرية.

٩- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني (ت ١٣٩٣هـ)، ط. أولى ١٤٢٤هـ، ن. دار عالم الفوائد ـ مكة.

١٠- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي (ت٧٥١هـ)، راجعه: طه عبد الرؤوف سعد، ن. دار الجيل ـ بيروت.

١١- الأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني: علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ)، تحقيق: سمير جابر وعلي مهنا، ن. دار الفكر ـ بيروت.

١٢- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لابن القيم: محمد بن أبي بكر، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط. ١٣٥٨هـ، ن. مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة.

١٣- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: د. ناصر بن عبد الكريم العقل، ط. أولى ١٤٠٤هـ.

١٤- الإيمان، لابن أبي شيبة: أبي بكر عبد الله بن محمد العبسي (ت٢٣٥هـ)، تحقيق وتخريج: محمد ناصر الدين الألباني، ن. دار الأرقم ـ الكويت.

١٥- الإيمان، للعدني: محمد بن يحيى بن أبي عمر (ت٢٤٣هـ)، دراسة وتحقيق: حمد بن حمدي الجابري الحربي، ط. الأولى ١٤٠٧هـ، ن. الدار السلفية ـ الكويت.

١٦- الباعث على إنكار البدع والحوادث، لأبي شامة: محمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل (ت٦٦٥هـ)، تحقيق: عثمان أحمد عنبر، ط. أولى ١٣٩٨هـ، ن. دار الهدى للنشر ـ القاهرة.

١٧- بدائع التفسير، الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية، جمعه وحقق نصوصه وخرَّج أحاديثه: يسري السيد محمد، ط. أولى ١٤١٤هـ، ن. دار ابن الجوزي ـ الدمام.

١٨- البدع والنهي عنها، لابن وضاح: محمد القرطبي (ت٢٨٦هـ)، تحقيق: محمد أحمد دهمان، ط. الثانية ١٤٠٠هـ، ن. دار البصائر ـ دمشق.

١٩- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، للفيروزآبادي.

٢٠- البيان والتبيين، للجاحظ: أبي عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ)، ط. أولى ١٩٦٨م.

٢١- تاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر: علي بن الحسن بن هبة الله (ت٥٧١هـ)، تحقيق: محمد غرامة العمري، ط. ١٩٩٥م، ن. دار الفكر ـ بيروت.

٢٢- تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة: أبي محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ)، صححه: محمد زهري النجار، ط. ١٣٩٣هـ، ن. دار الجيل ـ بيروت.

٢٣- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، لابن عساكر: أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت٥٧١هـ)، ط. ١٣٩٩هـ، ن. دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٢٤- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، للقرطبي: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري (ت٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد حجازي السقا، ط. ١٤٠٢هـ، ن. المكتبة العلمية ـ بيروت.

٢٥- التعريفات، لعلي بن محمد الشريف الجرجاني، ط. ١٩٧٨، ن. مكتبة لبنان ـ بيروت.

٢٦- تفسير البحر المحيط، لأبي حيان: محمد بن يوسف (ت٧٥٤هـ)، ط. الثانية ١٤١١هـ، ن. دار إحياء التراث الإسلامي.

٢٧- تفسير ابن سعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، لابن سعدي: عبد الرحمن بن ناصر، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ، ط. الثانية ١٤١٢هـ، ن. مركز صالح بن صالح الثقافي.

٢٨- تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل آي القرآن)، للطبري: أبي جعفر محمد بن جرير (٣١٠هـ)، ط. الثالثة ١٣٨٨هـ، ن. مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة.

- **نسخة أخرى**: تحقيق: أحمد محمد شاكر وأخيه محمود، ط. الثانية، ن. دار المعارف ـ مصر.

٢٩- تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، لابن عطية: أبي محمد عبد الحق الأندلسي، تحقيق: الرحالي الفاروق وزملائه، ط. الأولى ١٣٩٨هـ. على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني.

٣٠- تفسير البغوي (معالم التنزيل)، للبغوي: أبي محمد الحسين بن مسعود (ت٥١٦هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر وزميليه، ط. الإصدار الثاني. الأولى ١٤٢٣هـ، ن. دار طيبة ـ الرياض.

٣١- تفسير القاسمي (محاسن التأويل)، للقاسمي: محمد جمال الدين (ت١٣٣٢هـ)، تصحيح وتخريج: محمد فؤاد عبد الباقي، ط. الثانية ١٣٩٨هـ، ن. دار الفكر ـ بيروت.

٣٢- تفسير القرآن، لأبي المظفر السمعاني: منصور بن محمد (ت٤٨٩هـ)، تحقيق: أبي تميم ياسر إبراهيم وأبي بلال غنيم بن عباس غنيم، ط. الأولى ١٤١٨هـ، ن. دار الوطن ـ الرياض.

٣٣- تفسير القرآن الكريم، لابن كثير: أبي الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ط. الإصدار الثاني، ط. أولى ١٤٢٢هـ، ن. دار طيبة ـ الرياض.

- **نسخة أخرى**: تحقيق: عبد العزيز غنيم ومحمد أحمد عاشور ومحمد إبراهيم البنا، ط. الشعب.

٣٤- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ)، ط. أولى ١٣٢٥هـ، ن. مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ الهند.

٣٥- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، لابن عبد البر: أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت٤٦٣هـ)، ط. ١٣٩٨هـ، ن. دار الكتب العلمية ـ بيروت.

- **نسخة أخرى**: تحقيق: الزهيري، ط. ١٤١٤هـ.

٣٦- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، ط. الثالثة ١٣٨٦هـ، ن. دار القلم.

٣٧- جامع المسائل ـ المجموعة الأولى، لابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد عزير شمس، ط. الأولى ١٤٢٢هـ، ن. دار عالم الفوائد.

٣٨- الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم: أبي محمد عبد الرحمن الرازي (ت٣٢٧هـ)، ط. الأولى، ن. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ الهند.

٣٩- جمهرة اللغة، لابن دريد: محمد بن الحسن (ت٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي بعلبكي، ط. أولى ١٩٨٧هـ، ن. دار العلم للملايين ـ بيروت.

٤٠- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نُعيم: أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت٤٣٠هـ)، ط. ١٣٩٤هـ، ن. مطبعة السعادة ـ مصر.

٤١- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي: جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ)، ط. أولى ١٤٠٣هـ، ن. دار الفكر ـ بيروت.

٤٢- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، للبيهقي: أبي بكر أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ)، وثَّق أصوله وخرَّج أحاديثه: د. عبد المعطي قلعجي، ط. أولى ١٤٠٥هـ، ن. دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٤٣- ذم الكلام وأهله، للهروي: إسماعيل بن عبد الله بن محمد (ت٤٨١هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد العزيز الشبل، ط. أولى ١٤١٨هـ، ن. مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة.

٤٤- الرد على الجهمية، للدارمي: أبي سعيد عثمان بن سعيد (ت٢٨٠هـ).

٤٥- الرسالة، للشافعي: محمد بن إدريس (ت٢٠٤هـ)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، ط. الثانية: ١٣٩٩هـ، ن. دار التراث ـ القاهرة.

٤٦- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي: أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن عبد الله، ط. الأولى ١٤٠٧هـ، ن. دار الفكر ـ بيروت.

٤٧- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي (ت٧٥١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، ط. الرابعة عشرة ١٤٠٧هـ، ن. مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية ـ بيروت.

٤٨- الزهد، للإمام أحمد بن حنبل. تعليق الشيخ: محمد عبد الرزاق حمزة. ن. دار الكتب العلمية.

٤٩- الزهد، لابن المبارك: عبد الله المروزي (ت١٨١هـ)، تحقيق: عبد الرحمن الأعظمي، ط. ١٣٨٦هـ ـ الهند.

٥٠- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها، للألباني: محمد ناصر الدين، ط. الثانية ١٣٩٩هـ، ن. المكتب الإسلامي.

٥١- سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيئ على الأمة، تخريج الشيخ: محمد ناصر الدين الألباني، ن. المكتب الإسلامي، دار المعارف ـ الرياض.

٥٢- سنن الترمذي (الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل)، للترمذي: أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، ط. الثانية ١٣٩٨هـ، ن. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة.

- **نسخة أخرى**: إشراف فضيلة الشيخ صالح آل الشيخ، ط. الثانية ١٤٢١هـ، ن. دار السلام ـ الرياض.

٥٣- سنن الدارمي، للدارمي: أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن (ت٢٥٥هـ)، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المديني، ط. ١٣٨٦هـ، ن. شركة الطباعة الفنية المتحدة.

٥٤- سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ)، أشرف على طبعه فضيلة الشيخ: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ط. الثانية ١٤٢١هـ، ن. دار السلام ـ الرياض.

٥٥- السنن الكبرى، للبيهقي: أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت٤٥٨هـ)، وبذيله: الجوهر النقي للماrديني المشهور بابن التركماني (ت٧٤٥هـ)، ط. دار الفكر ـ بيروت.

٥٦- سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ)، حقق نصوصه ورقمها: محمد فؤاد عبد الباقي، ط. دار الفكر ـ بيروت.

٥٧- سنن النسائي (المجتبى)، للنسائي: أحمد بن شعيب (ت٣٠٣هـ) بشرح الحافظ السيوطي وحاشية الإمام السندي، اعتنى به ورقم أحاديثه: عبد الفتاح أبو غدة، ط. ثانية ١٤٠٦هـ، ن. دار البشائر الإسلامية ـ بيروت.

٥٨- السنن الواردة في الفتن، للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، اعتنى به: أبو عمر نضال عيسى العبوشي، ن. بيت الأفكار الدولية ـ الأردن، ط. بدون.

طبعة أخرى. تحقيق: د. رضا الله المباركفوري. ط. دار العاصمة ـ الرياض ١٤٠٦هـ.

٥٩- السنة، لعبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٩٠هـ)، تحقيق: د. محمد بن سعيد القحطاني، ط. أولى ١٤٠٦هـ، ن. دار ابن القيم.

٦٠- السنة، لابن أبي عاصم: أبي بكر عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (ت٢٨٧هـ)، ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة لمحمد ناصر الدين الألباني، ط. أولى ١٤٠٠هـ، ن. المكتب الإسلامي ـ بيروت.

٦١- السنة، للخلال: أبي بكر أحمد بن محمد بن هارون (ت٣١١هـ)، تحقيق: عطية الزهراني، ط. أولى ١٤١٠هـ، ن. دار الراية ـ الرياض.

٦٢- سير أعلام النبلاء، للذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ)، أشرف على تحقيقه: شعيب الأرنؤوط، ط. الثانية ١٤٠٢هـ، ن. مؤسسة الرسالة.

٦٣- السيرة النبوية، لابن هشام، حققها وضبطها: مصطفى السقا وزملاؤه، ط. الثانية ١٣٧٥هـ، ن. مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر.

٦٤- شرح الأصبهانية، لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد بن عودة السعوي، ط. الأولى ١٤٣٠هـ، ن. دار المنهاج ـ الرياض، دار جوده.

٦٥- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي: أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور (ت٤١٨هـ)، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، ط. الأولى، ن. دار طيبة ـ الرياض.

٦٦- شرح صحيح مسلم، للنووي: محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف (ت٦٧٦هـ)، ط. ١٣٤٩هـ، ن. المطبعة المصرية.

٦٧- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: محمد ناصر الدين الألباني، ط. السادسة ١٤٠٠هـ، ن. المكتب الإسلامي.

٦٨- شرف أصحاب الحديث، للخطيب البغدادي: أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: محمد سعيد خطيب أوغلي، ن. كلية الإلهيات ـ جامعة أنقرة.

٦٩- الشريعة، للآجري: أبي بكر محمد بن الحسين (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عمر الدميجي، ط. الرابعة ١٤٣١هـ، ن. دار الفضيلة ـ الرياض.

٧٠- شعب الإيمان، للبيهقي: أبي بكر أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول، ط. الأولى ١٤١٠هـ، ن. دار الكتب العلمية ـ بيروت.

- **نسخة أخرى** بعنوان: الجامع لشعب الإيمان، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، ط. أولى ١٤٠٦هـ، ن. الدار السلفية ـ الهند.

٧١- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ت٧٥١هـ)، تحرير: الحساني حسن عبد الله، ط. الثانية، ن. مكتبة التراث ـ القاهرة.

٧٢- صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)، للبخاري: أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت٢٥٦هـ)، إشراف: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ط. الثانية ١٤٢١هـ، ن. دار السلام ـ الرياض.

٧٣- صحيح ابن حبان (الإحسان) بترتيب ابن بلبان، لابن حبان: محمد بن حبان أبي حاتم البستي (ت٣٥٤هـ)، حققه وخرَّج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط، ط. الثانية ١٤١٤هـ، ن. مؤسسة الرسالة.

٧٤- صحيح ابن خزيمة، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت: ٣١١هـ) تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي ط. أولى (١٣٩٥هـ) ن. المكتب الإسلامي.

٧٥- صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ)، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري (ت: ٢٦١هـ)، تصحيح وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، ط. الأولى ١٣٧٤هـ، ن. دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- **نسخة أخرى**: إشراف فضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ط. ثانية ١٤٢١هـ، ن. دار السلام ـ الرياض.

٧٦- صفة المنافق، للفريابي: جعفر بن محمد بن الحسن (ت٣٠١)، تحقيق: بدر البدر، ط. أولى ١٤٠٥هـ، ن. دار الخلفاء للكتاب الإسلامي.

٧٧- صيد الخاطر، لابن الجوزي: أبي الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض، ط. العاشرة ١٤٢٢هـ.

٧٨- العزلة، للخطابي: أبي سليمان حَمْد بن محمد بن إبراهيم البستي (ت٣٨٨هـ)، ط. الثانية ١٣٩٩هـ، ن. المطبعة السلفية ومكتبتها ـ القاهرة.

٧٩- العواصم من الفتن قبل وقوعها في ضوء السنة النبوية، د. إبراهيم بن عبد الله الدويش، ط. أولى ١٤٣٠هـ، ن. معهد البحوث العلمية ـ جامعة أم القرى.

٨٠- عيون الأخبار، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢١٣- ٢٧٦)، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب. وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

٨١- الفائق في غريب الحديث، للزمخشري: جار الله محمود بن عمر (ت٥٨٣هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط. الثانية، ن. عيسى البابي الحلبي وشركاه ـ القاهرة.

٨٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، قام بإخراجه وتصحيح تجاربه محيي الدين الخطيب، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ن. المكتبة السلفية.

- **نسخة أخرى،** ط. الثالثة ١٤٠٧هـ، ن. المكتبة السلفية.

٨٣- فتح الباري في شرح صحيح البخاري، للحافظ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين، الشهير بابن رجب الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ) تحقيق: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، ط. أولى ١٤٣٠هـ، ن. دار ابن الجوزي.

٨٤- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني: محمد بن علي (ت١٢٥٠هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، ط. أولى ١٤١٥هـ، ن. دار الوفاء ـ المنصورة.

٨٥- الفتن، للإمام الحافظ نعيم بن حماد الخزاعي المروزي (ت٢٢٩هـ)، تحقيق: أبي عبد الله أيمن محمد محمد عرفة، ن. المكتبة التوفيقية، مصر، ط. بدون.

٨٦- الفتن وموقف المسلم منها رؤية شرعية تأصيلية، أ.د علي بن سعد بن صالح الضويحي، ط. الأولى ١٤٢٨هـ، ن. دار ابن الجوزي ـ الدمام.

٨٧- الفتنة معناها والحكمة منها في ضوء الكتاب والسنة، د. إبراهيم بن عبد الله الدويش، ط. سلسلة دعوة الحق ـ رابطة العالم الإسلامي، السنة (٢٣) العدد (٢٢١) لعام ١٤٢٨هـ.

- **نسخة أخرى:** ط. دار الكتب العلمية.

٨٨- الفتنة وآثارها المدمرة (موقف المسلم منها وطرق التثبت فيها)، د. أحمد بن إبراهيم بن أحمد، ط. أولى ١٤٢٥هـ، ن. دار لينا ـ مصر.

٨٩- الفتنة وموقف المسلم منها في ضوء القرآن، إعداد: عبد الحميد بن عبد الرحمن السحيباني، ط. أولى ١٤١٧هـ، ن. دار القاسم للنشر ـ الرياض.

٩٠- الفتنة وموقف المسلم منها، د. محمد بن عبد الوهاب العقيل، ط. أولى ١٤٢٩هـ، ن. عمادة البحث العلمي ـ الجامعة الإسلامية بالمدينة.

٩١- الفَرق بين الفِرق، للبغدادي: عبد القاهر بن طاهر (ت٤٢٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ن. دار المعرفة ـ بيروت.

٩٢- الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٩٣- فقه التعامل مع الفتن، د. زين العابدين الغامدي، ط. أولى ١٤٢٧هـ، ن. دار الهدي النبوي ـ دار الفضيلة.

٩٤- فقه الفتن، عبد الواحد بن إدريس الإدريسي، ط. أولى ١٤٢٨هـ، ن. دار المنهاج ـ الرياض.

- **نسخة أخرى**: ط. الثانية ١٤٣١هـ، ن. دار المنهاج ـ الرياض.

٩٥- الفقيه والمتفقه، للبغدادي: أبي بكر أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تعليق: إسماعيل الأنصاري، ط. الثانية ١٤١٥هـ، ن. دار إحياء السنة.

- **نسخة أخرى**: تحقيق عادل يوسف، ط. ثانية ١٤٢١هـ، ن. دار ابن الجوزي ـ الرياض.

٩٦- الكامل في الضعفاء، لابن عدي: أحمد بن عبد الله الجرجاني (ت٣٦٥هـ)، ط. أولى ١٤٠٤هـ، ن. دار الفكر ـ بيروت.

٩٧- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، لابن أبي شيبة: أبي بكر عبد الله بن محمد (ت٢٣٥هـ)، حققه: عبد الخالق الأفغاني، ط. ١٣٩٩هـ الثانية، ن. الدار السلفية ـ الهند.

٩٨- الكشاف، للزمخشري: أبي القاسم جار الله محمود بن عمر، ط. الثالثة ١٤٠٧هـ.

٩٩- كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة، للهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط. أولى ١٣٩٩هـ، ن. مؤسسة الرسالة.

١٠٠- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، للعجلوني: إسماعيل بن محمد (ت١١٦٢هـ)، أشرف على طبعه: أحمد القلاش، ن. مكتبة التراث ـ حلب، دار التراث ـ القاهرة.

١٠١- الكلام على مسألة السماع لابن القيم: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي (ت٧٥١هـ)، تحقيق: راشد بن عبد العزيز الحمد، ط. أولى ١٤١٩هـ، ن. دار العاصمة ـ الرياض.

١٠٢- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للهندي البرهاني: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين (ت٩٧٥هـ)، ضبطه: الشيخ بكر بن حياتي، وصححه ووضع فهارسه: صفوت السقا، ط. الخامسة، ن. مؤسسة الرسالة.

١٠٣- الكنى والأسماء، للدولابي: أبي بشر محمد بن محمد بن حماد (ت٣١٠هـ)، ط. الثانية ١٤٠٣هـ، ن. دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٠٤- لسان العرب، لابن منظور: أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ)، ط. ١٣٨٨هـ، ن. دار صادر، دار بيروت ـ لبنان.

١٠٥- لطائف المعارف، لابن رجب الحنبلي، ط. ثانية ١٤١٧هـ، ن. المكتب الإسلامي – بيروت.

١٠٦- المجالسة وجواهر العلم، لأبي بكر أحمد بن مروان الدِّينَوَري (ت: ٣٣٣هـ)، تحقيق: مشهور آل سلمان. ط. ١٤١٩هـ، ن. دار ابن حزم وجمعية التربية الإسلامية بالبحرين.

١٠٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ)، ط. الثالثة ١٤٠٢هـ، ن. دار الكتاب العربي ـ بيروت.

١٠٨- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله، ط. الأولى ١٣٩٨هـ.

١٠٩- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لعبد العزيز بن عبد الله بن باز، جمع وترتيب: محمد بن سعد الشويعر، ط. الرابعة ١٤٢٣هـ، ن. رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية.

١١٠- مختصر تاريخ الإباضية، للباروني: أبي الربيع سليمان، ط. الثانية، ن. دار الاستقامة ـ تونس.

١١١- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي (ت٧٥١هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط. ١٣٩٢هـ، ن. دار الكتاب العربي ـ بيروت.

١١٢- المدخل إلى السنن الكبرى، للبيهقي: أبي بكر أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ط. ١٤٠٤هـ، ن. دار الخلفاء ـ الكويت.

١١٣- مسألة الطائفين، للآجري: أبي بكر محمد بن الحسين (ت٣٦٠هـ)، صححه وعلق عليه: عَمْرو علي عمر، ط. أولى ١٤١٢هـ، ن. دار الكتبي.

١١٤- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، وبذيله: تلخيص الحافظ الذهبي (ت٧٤٨هـ)، ط. دار الكتاب العربي ـ بيروت.

١١٥- المسند، للإمام أحمد بن حنبل، ن. المكتب الإسلامي ـ دار صادر ـ بيروت.

- **نسخة أخرى**: ضمن الموسوعة الحديثية. إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، تحقيق: مجموعة من العلماء، ط. الثانية ١٤٢٩هـ، ن. مؤسسة الرسالة.

١١٦- مسند البزار (البحر الزخار)، للبزار: أحمد بن عمرو (ت٢٩٢هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، ط. أولى ١٤٠٩هـ، ن. مؤسسة علوم القرآن ـ بيروت.

١١٧- مشكاة المصابيح، للتبريزي: أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب (ت٧٤١هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط. الثالثة ١٤٠٥هـ، ن. المكتب الإسلامي.

١١٨- المصنف، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ)، ومعه كتاب: الجامع للإمام معمر بن راشد الأزدي، رواية الإمام عبد الرزاق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط. الثانية ١٤٠٣هـ، ن. المكتب الإسلامي.

١١٩- المعجم الكبير، للطبراني: أبي القاسم سليمان بن أحمد (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط. الثانية، ن. مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة.

١٢٠- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام هارون، ط. ١٤٢٠هـ، دار الجيل ـ بيروت.

١٢١- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن القيم: شمس الدين محمد بن أبي بكر (ت٧٥١هـ)، ط. الثالثة ١٣٩٩هـ، مكتبة حميدو ـ الإسكندرية.

١٢٢- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصبهاني: أبي القاسم الحسين بن محمد (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ن. دار المعرفة ـ بيروت.

١٢٣- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، للأشعري: أبي الحسن علي بن إسماعيل (ت٣٢٤هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. الثانية ١٣٨٩هـ، ن. مكتبة النهضة المصرية.

١٢٤- الملل والنِحل، للشهرستاني: محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ)، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، ن. دار المعرفة ـ بيروت.

١٢٥- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، لابن تيمية: أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط. الأولى ١٤٠٦هـ، ن. جامعة الإمام محمد بن سعود ـ الرياض.

- **نسخة أخرى**: بهامشه كتاب: بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول، ن. دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٢٦- منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع الفتن، د. عبد الرحمن بن عبد الرحيم القرشي، رسالة دكتوراه من جامعة أم القرى ١٤٢٩هـ، غير منشورة.

١٢٧- الموافقات في أصول الشريعة، للشاطبي: إبراهيم بن موسى (ت٧٩٠هـ)، شرح وتخريج: محمد عبد الله دراز، ط. ١٣٧٧هـ، ن. دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٢٨- موسوعة أحاديث الفتن وأشراط الساعة. جمع: د. همام سعيد و د. محمد رحيم.

١٢٩- موسوعة فقه الابتلاءات. علي الشّحّود.

١٣٠- الموطأ، للإمام مالك بن أنس (ت: ١٧٩هـ)، صححه ورقمه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، ن. دار إحياء الكتب العربية وعيسى البابي الحلبي.

١٣١- نزهة الأعين والنظائر، لابن الجوزي؛ أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي (ت: ٥٩٧هـ).

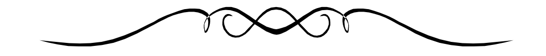
١٣٢- نقض المنطق، لشيخ الإسلام ابن تيمية: أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة وسليمان بن عبد الرحمن الصنيع، قدم له وصححه: محمد حامد الفقي، ن. مكتبة السنة المحمدية ـ القاهرة، ومكتبة الباز بمكة.

١٣٣- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير: أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، ط. أولى ١٣٨٣هـ، ن. المكتبة الإسلامية.

١٣٤- الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب، لابن القيم: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي (ت٧٥١هـ)، تحقيق وتعليق: إسماعيل الأنصاري، ن. رئاسة البحوث العلمية في المملكة العربية السعودية.

١٣٥- وسطية أهل السنة بين الفِرق، د. محمد باكريم محمد باعبد الله، ط. الأولى ١٤١٥هـ، ن. دار الراية ـ الرياض.

١٣٦- وسم الفقيه وسمت المتفقه، للدكتور: أحمد بن صالح الزهراني، ط. أولى ١٤٢٤هـ، ن. مؤسسة الرسالة ـ بيروت.



صفحة بيضاء

فهرس الموضوعات

